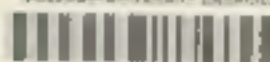




COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0070758417







# خُضْرَاءُ الْعَرَبِ فِي الْأَنْدَلُسِ

رسائل تاريخية في قالب فني إلى يد



وضعتها  
المكتبة العامة

السيدة عبد الرحمن البرقوقي

صاحب مجلة البيان

على لسان رحالة مصري رحل به إلى الأندلس في منتصف القرن الرابع  
المهجري ونحله هذه الرسائل التي أودعها علم الأندلس كله - في  
روض من البلاغة موقن مشرق طلق نضير - ولون  
من البيان يكاد لحلاوته يؤكل بالضمير

حقوق الطبع محفوظة

١٩٢٣ - ١٣٤١

تطلب من المكتبة التجارية بأول شارع محمد علي بمصر  
لصاحبها مصطفى محمد

مطبعة المكتبة التجارية بشارع مايدين بحارة فايد قمر ٣ بمصر

قال أحمد مولى الأندلس وقد وقفت ابنة له  
في كوة لتغيبه فهو يسر:

فانت لعمري ضوء يسر قاسم  
على الصبر لك منى أنظر  
عندنا طهرى صحت عند أعين  
هل تجيب يسر الصورة القصر؟

BUTLSTAK

PJ

7616

A6883

H3



## اهداء الكتاب

إلى روح أستاذي الأمام الشيخ محمد عبده - إلى  
الرجل العظيم الذي لم تقع عينى على مثله رجاحة عقل وسجاجة  
خلق وعبقريّة ذهن وسموّ نفس وعظمة روح وحمّة  
تفأطح النجوم . وكرما يشامخ الفيوم . وأديبا إليسا من  
الطراز الأول حتى استأثرتنا في حضارة الله إلى الرجل  
كل الرجل الذي يحب معالي الأمور ولا يحب مفساها  
تأذله المروءة وهي تؤذى ومن يمشق يذله الغرام  
إلى الرجل الذي لم يفرغ إليه فازع ولم يستصرخه  
مستصرخ إلا كان الصراخ له، انجاز ما أمله - إلى الرجل  
الذي لو مد الله في أجله . وبقى إلى أن رأى غمار غرسه  
ونتاج عمله . لكان الأديب اليوم شأن غير هذا الشأن، وحال  
غير تلك الحال، لأنه عظيم فهو يحب كل عظيم ويمدحه ويشبهه  
وقدا، ولا يحقد ولا يحسد لأن رئيس القوم لا يحمل الحقدا  
ذهب الدين يعاش في أكنافهم . وبقيت في خلف كجلد الاجرب  
عالم أشبهوا القروود ولكن خالفوها في خفة الأرواح  
لم حلل حسن فين بيض وأخلاق صمجن فهم سود

أنا في أمة تداركها الله م غريب كصالح في نوح  
إلى روح أستاذي الذي علمني ورأيتني فأحسن بحمد  
الله فأديني - فكنت ربحاً بجه ولا نخر، وكنت غرس يديه  
ونعمة عين . وكما أرسل الله إلى صفيته وخيرته من خلقه  
سيدنا محمد بن عبد الله صلوات الله وتسليماته عليه م لكين  
كرمين سقطا عليه كسقوط الندى وهو يلعب مع اخوته  
من الرضاعة خلف بيوت ظنره رضوان الله عليها .  
فأمنجماه فاستخرجوا قلبه فشقاء فتناوشا منه علة سوداء  
ثم غسلا قلبه بثلجها السماوي حتى أقياه ، وكان ذلك  
كدرجة لمقام النبوة ومهمة الرسالة العظمى - أرسل الله  
الينا هذا الأمام ، وطلع علينا كما يطلع البدر في دجنات الظلام  
ونحن في الأزهر نتصف الطريق ، وتتفهم تلك الجرائيم  
فهدي من ضلالة ، وأنا من ظلمة ، وانشأنا من مضيق  
ومرتعلم ، وأقامنا على المناهج النيرة ، والحاج الواضحة  
وغسل عقولنا حتى ألقى أدرانها ، ثم فاض علينا فيض علمه وأدبه  
فقال روح هذا الإمام أهدي هذا الكتاب م

عبد الرحمن البرفوني



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مامراً ومعلماً

« أما بعد » فهذا كتاب وضعته قديماً وأمينته « حضارة العرب في الاندلس ». ولقد أشرب قاي منذ طراءة العمر وديمان الصبي وجن الذشاط حب التاريخ الاسلامي عامة وتاريخ هذا الفرع الاندلسي منه خاصة . - فكان مما عنيت به فضل عناية ، وكان مما أولمت به الولوع كله ، النظر في تاريخ الاندلس وحضارة العرب بها منذ افتتاحهم اياها الى أن تأذن الله لهم ، وكتب عليهم الاسيانيون ، وكالج لهم الدهر وجهه ، وتقلصت ظلال تلك الحضارة بعد أن فاء بها النبيء على شرق الارض وغربها . - وبلغ من همي بهذا التاريخ أني بعد أن استوعبت كل ما وصل اليي من تأليف العرب ذهبت ألتبس ما كتبه مؤرخو الغرب وما نشره قوه على ذلك المصر حتى اقتنيت أمهات أسفارهم وعهدت الي كثير من أصدقائي الذين يحسنون الفرنسية والانكليزية أن ينقلوا الي كل ما يتسل بغرضي من مباحث هاتيك الكتب ، ومضيت في ذلك ومضوا فيه حتى استجسست الكثير وما يزيد على الكثير . ثم

خطر الدهر من خطرانه ونشأت ظروف أواخر سنة ١٩١٠ ميلادية  
 أى قبيل اخراج « البيان » اضطررتنى أن أزال القاهرة وأقيم  
 في بلدى - مسقط الرأس - ومكان القراس . فأفصح لى ذلك فى  
 الوقت ، ومد لى فى النظر ، وبسط فى مطارح التأمل ، وأنى  
 لا تقربى يوماً تاريخ أبى النداء اذ صدف أن أخذت عيني هذا الظير  
 الذى لا حقل له ، والذي يقنعه فى العادة النظر ، ولا يكاد يتلفت  
 اليه ، أو يتوقف عليه ، وهو ما رواه من « أنه فى سنة ٣٤٥  
 هجرية عمل عبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس مركباً كبيراً وحشد  
 فيه كثيراً من بضائع الاندلس وأرسله الى بلاد المشرق لتباع  
 هذه البضائع هناك واستبدال منها بضائع مشرقية » . ففتحت على  
 هذه العبارة أبواباً من وراء أبواب ، وامتدت الكلمة فى نفسي  
 حتى خرج من حروفها كتاب ، وألمحت أن أضع ما جمعت من  
 علم الاندلس كله فى صدر رحلته مصرى يقوم من الاسكندرية  
 وافداً الى الاندلس فى مركب الناصر هذا - فهو يرى ويسمع  
 ويقص ويدون ويصف ويستعين بما يعلمه وما يراه وما يفتق له  
 الخاطر وبهيم الفكر - فى رسائل يضمها وصف تلك الحضارة  
 على اختلاف ألوانها ، وشتى فنونها ، وصف مؤرخ أديب فيلسوف  
 رحل للتاريخ وفلسفته فيدرسه فى كتبه وفى مواضعه ورجاله

وأساببه وحوادثه ، وبذلك يستجيبه من أطرافه ، وبحجبه من  
أكنافه ، وتم التقدير على أن أضع على لسان هذا الرحالة الذي  
ذهب الى الاندلس وأقام فيها زهاء عشرين عاماً خمس رسائل  
يكون عنوان الاولى « من الاسكندرية الى المرية » والثانية  
« من المرية الى قرطبة » ، والثالثة « مقامي في قرطبة » والرابعة  
« العلوم والآداب والفنون في الاندلس » والخامسة « تقويم  
الاندلس وتاريخها » ... وهو بديهي أنه لا يقدم على هذا العمل  
مقدم الا بعد أن يحيط بتاريخ هذا العصر علماء ، يقتله كله دراسة  
وفهما ، فليس يكفي أن يكون ملماً بتاريخ الاندلس ، ولا بتاريخ  
الدول الاسلامية لهذا العهد . بل لا بد مع ذلك من أن يكون  
واقفاً على تاريخ الأمم الاخرى المعاصرة ، والتي لها علاقة بالدول  
الاسلامية اذ ذاك مثل الدولة الرومانية وما اليها . وكذلك درست  
تاريخ هذا العصر من جميع نواحيه . ثم وضعت يدي في هذا  
العمل ، وأخذت في كتابة هذه الرسائل ومعدتها لطبعي حتى اذا  
سرت شيئاً طرأ علي ما أجهلي الى القاهرة وفي تلك الآونة طلع  
« البيان » وحققت أنشرفيه . فبدأ من هذا الكتاب . وكان  
المنتظر أن يكون « البيان » بحيث يقرى بإتمام الكتاب ونشره  
كله بين صفحات هذه السنوات التي خلت ، ولكن جاء الامر

على حد ما قيل : طلبت بك الكثير فأزدت قلة : - فلقد استبدتني  
هذا البيان ، واستأثر علي بنفسي استئثاراً ، وتدفق في أذاته ،  
والخ في سطواته ، حتى أنه بعد أن ألهم الوفراً كلاً وشرباً ،  
ألوى بنفسه (١) قلباً ولباً ، وتركني لا أفكر الا فيه ولا أشتغل  
الا به .

فلو ان لي تامين قلباً اشتاغت

جميعاً فلم ينزع الى غيره . قلب

وكذا مصير كل من يمنن الادب في الصحف وبخاصة اذا كان  
هو صاحب تلك الصحيفة له غمها وعليه غرمها ، يبلد سقط فيه  
نجم الآداب الرفيعة وملاش سهمها . وقدما قيل لحكيم ان فلانا  
رجل عاقل فقال هل هو متزوج فقيل له نعم فقال : اذن ذهب  
عقله : وعلى هذا القياس لو قيل لي ان فلانا فيلسوف أو عالم أو  
أديب لقلت هل هو صاحب مجلة في مصر فإذا قيل نعم قلت اذن  
ذهب واه في الداهيين . فإنه اذا كان المتزوج يجد من هم واحدة  
وما يكون منها ما لا يدعه لهم نفسه فيذهب بذلك عقله أو بعض  
عقله فان صاحب المجلة يصيبه هم المئات الى الالوف ممن يقرؤن  
ولا يفرون بحق ولا عهد فهو ينفق من نفسه وما أعده لنفسه

(١) يعنى استبد بها

وهم يحقونه حقاً حتى ينقص بهم على زيادتهم ويقل على كثرتهم  
ولا يزال ذلك شأنهم وشأنه لا هو يتركهم وعليهم حقه ولا هم  
يدعونه في غير هذه الحالة . وبذلك يذهبون بفلسفته وعلمه وأدبه  
مذاهب المقم ، ويبلونه بالانغماس ، ولا عقل مع غم ، ولا قلب مع هم  
فذهب اذن والله صاحب المجلة وكان من ضياع العقل في وزن من  
تزوج لا بزوجة واحدة بل بألف زوجة ..

\*\*\*

«وبعد» فهذا هذا وفي هذه الآونة في هذه الفترة التي  
احتجب فيها البيان ، والتي وجدت فيها نفسي - جرى بيني وبين  
أحد أفاضلنا يوماً حديث أفضى الى ذكر هذا الكتاب . وأنت  
من هذا الفاضل رغبة حارة صادقة في تمامه ، وطبع حاتم منه الى  
الآن في الاقل على حدة . فكان جواب القدي أسبق من جواب  
القول ، وفدمت هاتين الرسالتين الى المطبعة على أن أردفهم قريباً  
ان شاء الله بالرسائل الثلاث الباقية . وهاتين الرسالتان يكادان  
يكونان كتاباً مستقلاً . يصح أن ينزلا من الرسائل التالية منزلة  
مدخل الكتاب من الكتاب .

والآن يجمل بنا أن تقدم بين يدي الناظر في كتابنا هذا  
تنبيهات يخلق به أن يلحظها ويتنبه عليها واليكها:

يلحظ قارىء هذه الرسائل في بعض المواطن شديداً يشبه أن  
يكون حشواً أو زيادة أو قصوراً أو شططاً أو خروجاً عن الموضوع  
أو ما شئت سمى. وذلك مثل كلامها على آخره « انظر صفحة ٧٨ »  
وكلامها على حب الوطن « صفحة ١٢٠ » فليعلم القارىء أننا لو  
قصرنا كلامنا في هذه الرسائل على البحث التاريخي البحث دون  
تطبيقاته مثل هذه المماثلة الفضة الاليفة المستطرفة التي نستروح  
اليها النفوس. وترى على القارىء عازب انشائه (١) - جاءت كرة  
جافة نقيه عمدة . و ليس للكاتب اليوم في أى باب من أبواب العلم  
والادب من يدح عن أن يدور القارىء على قراءة وراوغه (٢) ،  
ويحتال بكل صروب الخيل التي تغريه بقراءة وتشوقه الى الاطلاع  
ما دامت الرؤس كأن بها خيالاً . والنفوس كأن بها دائماً ملالا  
على أنه اذا كان الغرض الذي نقرئ فيه (٣) بهذه الرسائل هو وصف  
حاضرة العرب فماذا لا تشمل هذه القرصة وتقصدي ما وجدنا  
الى ذلك سبيلاً - لكل معنى من معاني هذه الحاضرة ومبلغ  
ما وصل اليه العرب في هذا المعنى ، ومن ثم لم نتعرض لمثل ما تعرضنا  
(١) تزيح ترجم وتعيد وعارب غائب (٢) داورة على كذا  
وراوغه أرادته عليه (٣) كقولهم اليوم نرعى اليه



عينا ، وانما لنصف لك كل ألوان الحضارة العربية على اختلافها  
أولا وبالذات ، ولننتقي عن القاري ما عساه يلم بساحته من  
السأم والحلال ثانيا وبالمرض

٢

قد يلج القاري من أسلوب هذه الرسائل وطريقة الوصف  
والتفكير فيها مسحة من روح جيلنا ، وبراها مصطنعة بصيغة عصرنا ،  
وهذا وإن لم يكن في مكاننا اجتنابه لأما ضرورة كوننا من  
أبناء هذا الحيل واضراج ربحه منا بالدم واللحم لا نستطيع  
الخروج عن كياننا إلا أنه مع ذلك يكاد نكون قد فسدنا  
إليه قصداً لأنه يدخل في باب النظرة التي لا بد منها تقياً للحال  
الذي قد يمر القاري إذا نحن توخينا أسلوب تلك المصور  
توخيائنا ، ولأنه لو لا ذلك لما كان ثمة فرق بين هذه الرحلة وبين  
رحلة فدية يصممها رحلة حقيقي في هاتيك المصور ، بيد أنا مع  
ذلك قد احفظنا جهد الاستطاعة باستلحات العرب في أسماء  
الأعلام والبلدان والأفطار والمأكلة وما إلى ذلك مع قرنها  
بأسمائها التي تعرف بها اليوم أما في هامش الرسائل وأما في صلبها  
بين أقوام

٣

كل ما كان لغيرنا ونقلناه بالخط أو بمقتضى إيماننا اليه في هامش الكتاب ومن ثم يكون كل ما لم ينبه إلى مصدره فهو لنا معنى وللفقهاء اللهم الامانة مثل به من بيت مشهور أو مثل سائر أو أبيات قد عرف قائلها . على أنها إذا كنا في موضع تاريخي أو وصف جغرافي قد تمنا إلى المصدر الذي اعتمدنا عليه ففي الغالب الكثير تكون العبارة أنا وإنما الذي لغيرنا هو العصاره التاريخية أو الجغرافية وما اليه . وقد ندمنا عن التنبيه إلى المصدر أما لأننا لم نقيده ما نقله حين النقل فلم ننتد إلى موندته بمد ذلك وأما لأن ما نقله من غيرنا إنما نقلناه بواسطة حافظتنا .

٤

قد تشمل في بعض الأحيان بيت أو أبيات تأخرت أوقات قائلها عن زمن الرحلة مثل نقلنا بأبيات لابن خنجر أو لابن حمد يس مثلاً ونحن قائلنا لا نرى بأسماء في ذلك ما دام هاتيك الأزمان متفاربة متشابهة وحسبنا التنبيه إلى ذلك في هامش الكتاب

\*\*\*

أما بعد . فيرحم الله محروين بحر اذ يقول : لا يزال المرء

في فسحة من عقله ما لم يقل شعراً أو يثلف كتاباً - ويرحم الله القائل:  
عرض بنات الصلب على الخطاب ، أهون من عرض بنات الصدر  
على ذوى الألباب . فإذا كنت قد وفقت أو قاربت التوفيق في  
هذا الكتاب والا لحسب أني لا آلو جهداً ولا أدخر وسعاً ، وأني  
أخلص النية وأراقب الله في كل ما أصنع ، على أنه لا كمال في الأرض  
وإنما الكمال لله وحده ، واليه سبحانه الرغبة في أن يحوط كل ما أعمله  
بكلامه ، وأن ينشئه دائماً بالقبول أنه مسموع الدعاء .

عبد الرحمن البرقوقي

ل -

## رجاء

ترجو القارىء الكريم - ونلج في هذا الرجاء - أن  
يتناول قلمه الآن ويصحح هذه الأغلط المطبعية التي يراها  
وبرى صوابها في هذا الجدول قبل أن ينضى في قراءة الكتاب

صفحة سطر	خطأ	صواب
٩	رواه	رواة
١٨	١٥	هاروت ينفت
		• في بعض النسخ •
٢١	٨	كل صنعا • في بعض النسخ • كل ما صنعا
٢٥	١	ان المسلمون
		• في بعض النسخ •
٣٩	٥	وفي مدافعه
٤١	١	وماليها
٤٣	١٦	خمس عشر
٤٥	٣	للشأن
٤٩	٥	للبيع
		المبتاع

صفحة سطر	خطاً	صواب
٥٠	١١	ايات
٥١	١٣	الحمد
٥٧	٣	ومدينة مسيني
٥٧	١٦	سيفه
٦١	١٠	في الجزيرة
٦١	١٥	أنا
٦٣	١٢	منزه
٦٦	٦	ومتورقة
٧١	١١	أن المركب
٧٦	١٠	شانا
٧٧	٣	من المفضوب عليهم
٧٨	٧	لثلاث عشر
٨١	١	ما اظنه
٨٣	٨	أو تقطع
٩٥	٤	والنبات

— ن —

صواب	خطأ	صفحة	سطر
ابن اللبابة	ابن اللبان	١٠٦	١٤
يتجاوزون	يتنازرون	١٠٩	١٣
تلقاه	لقاه	١١٠	١٤
وتعلقت	وتعلقت	١١٧	٧
ننبيه	ننبيه	١١٩	١٦
صلوات الله عليه اذ يقول	صلوات الله عليه	١٣٤	٥
المرء	المرء	١٣٧	١٢
الطيب	الطيب	١٥٦	٢
ويشقى بالانسان من هذا العالم	ويشقى من هذا العالم	١٦٢	٧
ماء	ماء	١٦٤	١٢
الأسطول	الاصطول	١٦٦	٥
والقوافير	والقوافير	١٦٩	٢
والشنديات	والشنديات	١٦٩	٤
وبأبي علي	وبأبي عبي	١٧٣	٩
ماجنه	ماجنه	١٧٤	٩



# السُّبُحَاتُ الْاَفْرِجِيَّةُ

منه لاسكندرية الى المرية

كان انفصالي عن الاسكندرية للوفود الى الاندلس  
بسُحرة يوم من أيام سنة خمس وأربعين وثلاثمائة من هجرة  
المصطفى صلى الله عليه وسلم . الموافقة سنة ست وخمسين  
وتسعمائة ليلاد السيد المسيح صلوات الله عليه ، وذلك في  
سفينة عدواية <sup>(١)</sup> لأمير المؤمنين بالاندلس عبد الرحمن

المرية ويسمى الافريج Almeria ثم من تفود اسبانيا  
واقع على البحر الابيض المتوسط . وكانت زمن هذه الرحلة  
مرمي للسفن القادمة من المشرق القادمة الى القطر الاندلسي  
(١) أي منخمة من قول طرفة بن العبد يصف السفينة  
عدولية أو من سفن ابن يامن . يجور بها الملاح طور او بهتدي  
قال في اللسان : قال الاصمعي العدوي من السفن منسوب  
الى قرية بالبحرين يقال لها عدوى ثم قال وقبل انما هي منسوبة  
الى موضع كان يسمى عدولاة تقول ولعل هذا هو الاقرب

الناصر ، لم تر قط عيني مثلها ، وكان عبد الرحمن فيما لمغنى  
مُولماً بإنشاء السفن والأساطيل ، فأنشأ هذا المركب  
الكبير الذي لم يعمل مثله وسير فيه أمتة وبضائع إلى بلاد  
المشرق لتباع هناك وتستبدل بها بضائع من هاتيك البلاد  
فمر بكثير من نفود البحر الشدي ، وكان آخر ما مر به  
الاسكندرية (١)

• • •

إلى المواب ولعل عدولة هذه هي أدولي وقد عزم بذلك  
ويأن السفن المدولية منسوبة إلى أدولي هذه استاذنا الدكتور  
نالينجو المحاضر كان بالجامعة المصرية قال البستاني في دائرة  
معارفه : تحت كلمة أدوليس أو أدولي ، هي مدينة قديمة في  
الحيثية في جوف من البحر الأحمر على الشاطئ الغربي ونسبي  
الآن زوية وأركيكو وكانت في القرن السادس للميلاد ميناء  
لاكوم

(١) جاء في كتب التاريخ عن هذا المركب وعن ولوع الناصر  
بإنشاء المراكب والأساطيل ما لا يكاد ينحرف عنه كلامنا -  
راجع تاريخ أبي الفداء وابن الأثير وابن خلدون

ولما نزلت هذا المركب رأيت فيه كثيراً من أهل  
بغداد والموصل والشام ومصر يريدون الوفود إلى الأندلس  
— ومن عرفت منهم عالم لغوى أديب من أهل بغداد  
يعرف بأبي علي اسماعيل بن القاسم بن عيذون القالي (١).  
وفقيه مصر أحمد بن أبي عبد الرحمن القرشي الزهري (٢).  
وفقيه مفرى يسمى أبا الحسن علي بن محمد بن اسماعيل بن  
بشر النخعي الأنطاكي (٣) وناجرو حلة من أهل الموصل  
يعرف بابن حوقل (٤) وفئة اسمها فضل المدنية (٥) —

- (١) دخل الأندلس أبو علي القالي سنة ٣٣٠ هجرية أيام  
عبد الرحمن الناصر، وسنة ٣٣٠ وسنة ٣٤٥ هجرية من قريب  
(٢) دخل الأندلس هذا الفقيه المصري العظيم سنة ٣٤٣  
قال ابن حبان فأكرم الناصر منواه وكان فقيه أهل مصر  
(٣) قال ابن القرضي أدخل الأنطاكي علي الأندلس لما جاء  
وكان اماماً في القرائات لا يتقدمه أحد فيها مات بقرطبة سنة ٣٧٧  
(٤) وفد ابن حوقل على الأندلس حوال سنة ٣٦٠ ومرو  
كذلك بعقلية (٥) جاء في فتح الطيب انه اشترى للامير  
عبد الرحمن صاحب الأندلس قبة اسمها فصل والظاهر أنه يعني

وأصل هذه القينة كما أخبرني لأحدى بنات هرون الرشيد  
ونشأت وتعلمت ببغداد ونهدت من هناك إلى المدينة  
المشرفة فازدادت ثم طبقها في الفناء ثم اشتربت للأمير عبد  
الرحمن مع صاحبة لها تسمى علم المدينة وصواحب أخرى ،  
وقد عقدت القرية بيني وبين فضل صحبة — لأن الغريب  
كما قيل للغريب نسب — فرأيت منها أدبية ذاكرة  
حسنة الخط رابعة للشعر حلوة الشائل مملوءة الكلام  
— ذلك إلى حذقها في الفناء ولياقها به مع الظرف الناصع ،  
والجمال الرائع فكانت — تمنع الله لها — سلوتنا في سفرنا  
وكانت تجلو هموم السفر <sup>(١)</sup> ومرض البحر ، بما تنفثه بيننا  
للقينة بعد القينة <sup>(٢)</sup> من سحر الحديث الذي يأخذ بالآليات  
ويرتفع له حجاب القلوب ، فهو كما قال أبو حنيفة النخعي

---

عبد الرحمن الأوسط لأعبد الرحمن الناصر قليلا حظ ذلك ، على  
أنه جاء في كتب التاريخ أنه كان في هذا المركب — مركب الناصر —  
جوار مئة ثمانين اشترين الناصر من المشرق (١) أي المسافرين  
(٢) الحين بعد الحين ومثلها الخطرة بعد الخطرة

فيمن يقول :

حديث إذا لم نخش عينا كأنه  
إذا ساقطته الشهد أو هو أطيب  
لو أنك تستشفى به بعد سكرة

من الموت كادت سكرة الموت تذهب

ولما أقلمت بنا السفينة من مرسى الاسكندرية  
نحركت الريح الشرقية نسيماً فارتأ علينا ثم غشى البحر ضباب  
وقيق سكنت له أمواجه، فماد كأنه صرح بمرد من قوارير،  
فبقينا لاعمين على صفحة ماء نخاله العين، سبيكة الجين، كأننا  
نبحول بين سماءين، فكانت لذلك منظر هو قيد النواظر  
ونخل<sup>(١)</sup> الأبواب وشرك النفوس - تجلي لنا فيه جمال  
السكون وصانته، فكنت نرى السماء صافية الأديم، زاهرة  
النجوم، وكوكب الزهرة مقبلاً من ناحية المشرق بحفه  
الجمال والجلال، فلولا التثني لقلت تجلت قدرته، وترى  
البحر كأنه مرآة مصقولة تنظر للسماء فيها وجهها، فكاننا

---

(١) الفل القيد

الماء سماء ، وكأن السماء ماء ، ونرى التوتية مجدين في التجذيف  
على حال لو هممت بتشبيها بشيء حسن لا انظر كحسنها  
إلى رده إليها .

محاذف كالحيات مدت رؤسها  
على وجل في الماء كي تروى الظما  
كما أسرعت عدا أنامل حاسب  
بفيض وبسط يسبق العفن والفا<sup>(١)</sup>  
وفيما بين ذلك نسمع فضلا نفى في قبتها مواليا بشداية  
ساحرة وبين يديها مزهر تفلده أطرافها .  
نميت به ألبانها وقلوبنا  
مراداً ونحيمهن بدمعهمود  
إذا نطقن ممحنا وصاح لنا الصدى  
صياح جنود بوجهت الجنود  
ظللتنا بذاك القيدن اليوم كله  
كأننا من الفردوس تحت خلود

---

(١) البيتان لابي عمرو يزيد بن أبي خاله الخمي الاشبيلي الأندلسي



ومضى على ذلك ثلاثة أيام بلياليها كنا من أوقاتها في  
بُلْهَنِيَّة (١) من العيش، وغفلة عن أعين الدهر، ووصل  
أخضر، ونمى لا يشوبها بؤس ولا كدر، فلما كان اليوم  
الرابع - ولا كان - هبت علينا ريح عاصف رمثنا بها  
الأقدار من حيث لا ندري، فأدغى البحر وازبد - وأبرق  
وأرعد - وتلاطمت الأمواج - واحتاجت إغا احتياج،  
وصار بها تحرك الله مثل الجنون، وترأت في صورها النون

وقد فتر الحمام هناك فاه

وأتلع جيده الأجل المتاح (٢)

فانقلب بسرنا عسراً، وأدال الله من الحلو مرراً، وعظم  
الخطب - وعم الكرب، ونحن في ذلك فمود - كدود على  
عود، وقد نبت بنا من الفلق أمكنتنا، وخرست من الفرق  
الستنا، ونوهمنا أنه ليس في الوجود، أغوار ولا نجود،

(١) رخاء لا يشوبه سوء - من البلاء

(٢) لابن خنقاه الاندلسي - فتر فتح وإخام الموت وأتلع

إلا السماء ، والماء : وذلك السفين ، ومن في قبر جوفه دفين

البحر صعب المرام جدا لا جعلت حاجتي إليه

أليس ماء ونحن طين فاعسى صبرنا عليه <sup>(١)</sup>

ولبتنا على هذه الحال من ظهر اليوم الرابع الى سحره

وبعد ذلك فترت الحال بعض الفتور ، ثم جاءت ريح رشاء

زجت السفينة إلى بر جزيرة اقريطش ، كريد ، أهنا تزجية

وأخذنا نسير في محاذاتها ، فا كان الا كلا ولا حتى وصلنا

إلى مدينة الخندق <sup>(٢)</sup> إحدى مدنها ومرافئها العظيمة ،

فأرسلنا بها ربنا نشري منها ما يعوزنا من الخبز واللحم

والماء والفاكهة .

## أقريطش

وهذه الجزيرة من جزر بحر المغرب الكبيرة ، فيها

مدن وقرى كثيرة ، يقابلها من بر أفريقيا لوبيا ، وجميع

سكانها الآن مسلمون ، وأميرها يسمى عبد العزيز بن

(١) المقرئ صاحب نفع الطيب (٢) كنديه Candia

شعيب من ولد أبي حفص البلوطي الاندلسي<sup>(١)</sup> وذلك فيما  
 علمت أن الحكم بن هشام أمير الاندلس كان قد أمن  
 صدر ولايته في اللذات ، فاجتمع أهل العلم والودع بقرطبة  
 مثل يحيى بن يحيى الليثي صاحب مالك وأحمد ورواة الموطأ  
 عنه . وطالوت الفقيه وغيرهم ، فنقموا عليه وتاروا به وبايعوا  
 بعض قرابته وكانوا بالرئيس الغربي من قرطبة - محلة متصلة  
 بقصره - فقاتلهم الحكم واستلحمهم ، وهدم ديارهم ومساجدهم  
 فلهفوا بفاس من أرض المدونة<sup>(٢)</sup> وبالاسكندرية ، وبعد  
 أن أقاموا في الاسكندرية حيناً من الدهر تلاحى رجل  
 منهم مع جزار من سوقها فنادوا بالثار واستلحموا كثيراً  
 من أهل البلد وأخرجوا بفيتهم وامتنعوا بها وولوا عليهم  
 أبا حفص عمر بن شعيب البلوطي - ويمرق بأبي الفيض  
 من أهل قرية مطروح من عمل شخص البلوط الجاور  
 لقرطبة - فقام برأسهم . وكان على مصر يومئذ عبد الله بن  
 طاهر من جهة المأمون ، فرحف إليهم وحصرهم بالاسكندرية

(١) كل ما ذكر عن كريد تاريخي حقيقي (٢) مراکش

فاستأمنوا له فأمتهم وبمنهم إلى هذه الجزيرة - أفريطش -  
فعمروها وأحناؤها بنور الاسلام وشيدوا بها المساكن  
والحصون والبدن العظيمة مثل الخندق التي اشترينا منها  
خبزنا ولحنا ، وبهرنا ما رأينا فيها من حضارة العرب وعز  
الاسلام ، ولا يزال أميرها إلى اليوم - وهو سنة خمس  
وأربعين وثلاثمائة - من ولد أبي حفص البلوطي ، وهو الأمير  
عبد العزيز بن شبيب ، أدام الله عليه ملكه ، وأبعد عنه  
كيد الأعداء

• • •

ولما أفلطنا عن بر جزيرة أفريطش أسعدت الريح ،  
وأصحت السماء ، ونام عنا البحر ، وأخذت السفينة تشق  
البحر ، شق الجلم <sup>(١)</sup> وأخذنا في سمت جزيرة صقلية (Sicily)  
وما زلنا حتى قطعنا سيمائة ميل في مدى أربعة أيام بلياليها  
ولما قاربنا صقلية وصرنا منها أدنى ذي ظلم <sup>(٢)</sup> أخذت أعيننا

(١) المقص (٢) أقرب شيء إليها تقول انه لا أول ذي  
ظلم لقيته اذا كان أول شيء سد بصرك بليل أو نهار ومثله لقيته

أشباحاً كالأعلام تسير على وجه الماء تنضم إلى بعضها تارة  
وتنصاع كسرب القطا أخرى ، فساءلنا ، فقيل لنا ان هذا  
أسطول المعز لدين الله أبي تميم محمد المبيدي يندو وبروح  
بين صقلية وبين قلسورية (Calabria) من بر الأرض الكبيرة  
« أوروبا » فاعتبط بهذا النظر تاجر مغربي أدب من أهل  
المهديّة ، نزل معنا من أقرطاش بنية الوفود إلى صقلية ،  
وأخذت منه هزة الطرب حين رأى أسطول بلاده ، ورفع  
عقيرته - وقد أنافت برأسه الشجرة - نمرة المصيبة -  
قالا : قد أبو القاسم محمد بن هاني ، الاندلسي شاعر سيدنا  
المعز لكأنه يرى ما يرى الآن حين يقول ، في هذا الاسطول  
اما والجواري المنشآت <sup>(١)</sup> التي سرت

لقد ظاهرتها <sup>(٢)</sup> عدة <sup>(٣)</sup> وعديد <sup>(٤)</sup>

أول وهلة وأول صوك وبرك

(١) الفن (٢) حاوئها (٣) عدد وآلات (٤) اناس

متعددة كثيرة - جنود -

خباب<sup>(١)</sup> كما رعى القباب على المنها<sup>(٢)</sup>  
 ولسكن من ضمت عليه أسود  
 عليها غمام مكفهر مصيره<sup>(٣)</sup>  
 له بارقات جمرة ورعود  
 أنافت بها أعلامها<sup>(٤)</sup> وسماها  
 بناء على غير المراء مشيد  
 من الراسيات الشم لولا انتقالها  
 فتنها قنات شمتخ وربود<sup>(٥)</sup>  
 من العنبر إلا أنهن جوارح  
 فليس لها إلا النفوس مصيد

(١) جمع قبة (٢) جمع سهاة وهي في الأصل البلورة التي تبص  
 لشدة بياضها أو الدرة ثم أطلقت على بقرة الوحش على التشبيه  
 لبياضها ثم تم يشبهون المرأة فاماها في البياض يعنون البلورة  
 أو الدرة وإذا عبت بها في المينين فأنما يعنى بها البقرة يقول كما  
 رعى القباب على النساء (٣) الصير السحاب الأبيض  
 (٤) رايانها (٥) القنان جمع قنة وهي ألى الجبل والريود جمع  
 ويد يفتح الراء الحرفه الثاني من الجبل



من الفادحات النار تضرم للصلى  
فليس لها يوم اللقاء خود  
إذا زفرت غيظاً ترامت بخارج  
كأشب من نار الجحيم وقود  
فأفواههن الحاميات صواعق  
وأنفاسهن الزافات حديد  
لها شمل فوق الفمار<sup>(١)</sup> كأنها  
دماء نلقها ملاحف سود  
تفانق موج البحر حتى كأنه  
سليط له فيه الذبال عتيد<sup>(٢)</sup>  
ترى الماء فيها وهو قان عبابه  
كما باشرت ردم الخلق جلود<sup>(٣)</sup>

---

(١) الفمار جمع غمر الماء الكثير

(٢) السليط الزيت والذبال الفتائل وغنيد معد حاضر

(٣) الخلق الزعفران والردع الطبخ بالزعفران وقان أي

احمر والمعنى ظاهر

فليس لها إلا الرباع أعنة  
 وليس لها إلا الحباب كبد<sup>(١)</sup>  
 وغير المذاكي تجرها<sup>(٢)</sup> غيراتها  
 مسومة تحت الفوارس قود  
 وحبة مد الباع وهي نتيجة  
 بغير شوى<sup>(٣)</sup> عذراء هي ولود<sup>(٤)</sup>  
 تكبرن عن نفع<sup>(٥)</sup> يشار كأنها  
 موال<sup>(٦)</sup> وجرده الصافنات عبيد

---

(١) الكبد تراب حلبة الخيل (٢) يقول ليست من  
 الخيل لأن المذاكي الخيل والسحر الأصل (٣) يقول أنها رحيبة  
 مد الباع مع أنها من غير قوائم عاشوى قوائم الفرس  
 (٤) عذراء لأنها لم تتركب قبل وولود لأنها تحمل ناساً فكان  
 الجنود فيها أولادها وهذا من قول مسلم بن الوليد  
 كشفتها وويل الدجى عن مهولة بحارية محمولة حامل بكر  
 (٥) غبار  
 (٦) المولى السيد

١- من شقوق البقرى ملابس<sup>(١)</sup>  
 مدفوعة<sup>(٢)</sup> فيها التنضار جسيم<sup>(٣)</sup>  
 كذا اشتجاره فوق لأرائك خرد<sup>(٤)</sup>  
 أو التفتت فوق الأنابر صيد<sup>(٥)</sup>  
 أبوس تكف الماء وهو غطامط<sup>(٦)</sup>  
 ونذر بأس السم وهو شديد

- (١) الشقوق جمع شق وهو الثوب الرفيق والمبقر موضع  
 تزعم العرب أنه في أرس الحن قالوا ونوشى فيه البسط وغيرها  
 ثم نسبوا إليه كل شيء تمجبوا من حذقه وحوذة مدمنه وقوته  
 ويقال ثياب عبقرية من هذا  
 (٢) مدفوعة فيها الحبوب بيض  
 (٣) التنضار الذهب والحديد الدم  
 (٤) جمع خريدة وهى من النساء الذكور التى لم تفس أو الحية  
 الطويلة الكوت الخافضة الصوت الخفيرة  
 (٥) ملوك  
 (٦) أي عظيم - كثير الماء

فنه دروع فوقها وجواشن<sup>(١)</sup>

ومنها خفاتين<sup>(٢)</sup> لها وبرود

وإنا لقي ذلك إذ رأينا قلوبة من بر الأرض الكبيرة  
عن يميننا ، وبر جزيرة سفلية عن يسارنا . ثم دخلنا المجاز  
الذي بينهما ، قرأنا بحراً صعباً يتصب انصباب العرم ، ويغلي  
غليان الرجل ، لشدة انحصاره وانضغاطه ، فاستمر مركبتنا  
في سيره والريح الجنوبية نسوقه سوقاً عتيفاً ، فلما شارفنا  
مدينة ريو (Reggio) وقد كان الليل مظلماً ربوض النواحي  
ضربت في وجوهنا ريح انكصتنا على الاعقاب ، وحالت  
بين الابصار والارتقاب . وتناوبت علينا عوارض دهم  
صرنا منها ومن الليل والبحر في ثلاث ظلم ، وعباب البحر  
تتوالى صدماته ، وتظفر الالباب رجفاته ، فقطعتنا هذه الليلة  
البعاء في مفاساة احوال تجمل الولدان شييا<sup>(٣)</sup> ثم تداركنا  
صنع الله مع السحر ، ففترت الريح ، ولان متن البحر وجاءت  
ريح رخاء زجت الركب ترجية حسنة الى مدينة ريو

(١) الجواشن القدممان (٢) نوع من الثياب (٣) ابن جبير

وكان ذلك في فجر اليوم التاسع ليوم انفصالنا عن  
الاسكندرية . وما أرسى المركب على هذه المدينة حتى  
أقام عنها كيلا يحسه اسطول العبيدين ويثار منه . وذلك  
فيما علمت أن المركب الأندلسي كان قد تمحش وهو ذاهب  
إلى بلاد المشرق بمركب المعز فيه كتب ورسائل - فقطع  
عليه المركب الأندلسي وأخذه بما فيه <sup>(١)</sup> فتملكنا الذعر  
لذلك الخبر ، وثرت قلوبنا خوفا على أنفسنا . ومن ثم اعترمت  
أن أنزل من هذا المركب على أقرب بلد يرسى عليه ، وكذلك  
نزلت منه عند إرسائه على هذه المدينة وحدث الله الذي  
لا يحمد على الصوب والمكروه سواء .

• • •

بيد أني ما انفصلت عن المركب حتى انفصل عني  
قاي وسار مع من فيه وأصبحت على حد قول القائل :

---

(١) ابن خلدون

عواى مع الركب الجمان مصمد

جنيب وجماني نكته موق

ذلك انفصالي عن فضل المدينة التي هي مراد السمع  
ومرنع النفس وربع القلب وخال الطوى ومسلالة الكتيب  
وأنس الوحيد وذاد الزراك . ولا يدع فمناك الجمان الرائع  
والغارف البارع ، والشباب البيض ، والأدب الفص ، ورفقة  
الحاشية . وخفة الناحية . وعذوبة المباشرة ، وحلاوة الغاضرة

وحديثها السحر خلال لوانه

لم نجن قتل المسلم المتحرز

إن طال لم على وإن هي أوجزت

ود انحدثت أنها لم توجز

شرك العقول ونزهة ما مثارها

لمطمئن وعقلة المستوفز

\*\*\*

فكان لفظ حديثها قطع الرياض كين زهرا

وكانت تحت لسانها هاروت ينفت فيه سحرا

حوراء ان نظرت اليك سقتك بالعينين خيرا  
نفسى القوي مهاده وتكون للحكام ذكرا

\*\*\*

وقف الهوى في حيث أنت فليس لي  
متأخر عنه ولا متقدم  
أحد الملامة في هوك لذمة  
حبا لذكرك فليدنى اللوم

\*\*\*

وما أنس من الأشياء لا أنس صونها العذب الذي  
كانه مجاج المنحل، وغناها الحبيب إلى النفوس حتى كأنها  
خافت من كل قلب، فهي تضيء لكل ما أحب، وانقد كان  
يخيل إلينا وهي تغنينا في المركب نأفي الفردوس يطربنا  
نبي الله داود.

إذا هي غنت أبهت الناس حسنها  
وأطرق اجلالا لها كل حاذق

\*\*\*



غنت فلم تبق في جارية الا تحت بأنها أذن

• • •

تتغنى كأنها لا تغنى	من سكون الاوصال وهي نجيد
مد في شأو صوتها نفسا	ف كأنفاس عاشقها مديد
وأرق الدلال والفتج منه	وبراه الشجا فسكاد يبيد
قتراه بموت طورا وبجي	مئلذ بسبطه والنشيد
في هوى مثلها يخف حلیم	واجع حله ويغوى رشيد
خلقت فتنه غناء وحسنا	مالها فيها جميعاً ندید

• • •

وأين لا أين مزهرها الذي كان صوته صرير باب الجنة  
والذي كانت اذا تناولته لتضرب على أوتاره فكانها تنظم  
قلوبنا لتضرب على أوتارها. وهكذا هكذا فليكن الغناء  
ومعاه. وهل خلقت الاغاني. لعمر آلهك الا للفواني؛  
وكم بين أن تسمع الغناء من فم تشتهي أن تقبله، وبين أن  
تسمعه من فم تشتهي أن تشيع بوجهك عنه؛ وأيهما أملح  
وأجمل. أن يغنيك غل ملتف الحية وشيخ منخلع الاسنان

متنفسن الوجه - أو تفتيك غانية كطافة نرجس أو آس ،  
وكأنها حورية أيقنت من رضوان ، خازن الجنان ، غآه من  
جمالها وآه من حديثها وآه من غنائها وآه من مزهرها ،  
ولكن نزلت ربو وفارقتني فضلل ، والله الامر من بعد  
ومن قبل

يا وحشتا للغريب في البلدك      ازح ماذا بنفسه صنعا  
فارق أحبابه فما انتقموا      بالعيش من بعده ولا انتفعا  
يقول في تأبه وغربتيه      عدل من الله كل ما صنعا

\*\*\*

وهذه ربو هي مدينة عظيمة من مدائن جزيرة فلورية  
من بر الارض الكبيرة ، واقعة على مجاز ميني ، بينها  
وبين ميني نحو من عشرة أميال ، وبها مسجد كبير بناه  
في وسطها ابو القناتم الحسن بن علي بن أبي الحسين الكاظمي  
والى صقلية كان من قبل المنصور العبيدي بعد أن اكنح  
بلاد فلورية جميعاً وتقلل في أحشائها وشيد بها المعقل  
والحصون وأرغم انوف أهلها من الروم ، وذلك فيما بلغني أن

الانبرور<sup>(١)</sup> صاحب القسطنطينية كان قد أرسل سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة للمجرة بطريقا في البحر في جيش عرمرم الى جزيرة صقلية فأرسل الحسن الى المنصور الميمني يعرفه الحال فأرسل اليه اسطولاً فيه سبعة آلاف فارس وثلاثة آلاف راجل سوى البحرية ، وجمع الحسن اليهم جمعا كثيرا وسار من بلاد فصة صقلية في البر والبحر فوصل الى مسيني وعبرت المساكن الاسلامية التي ربو هذه وبنت الحسن سراياه في أرض فلورية وزل هو على يد يسمى جراحة وحاصرها أشد حصار حتى أشرف أهلها على الهلاك من شدة العطش ، وأنه في ذلك إذ وصله الخبر أن الروم قد زحفوا اليه فصاح أهل جراحة على مال أخذه منهم وسار الى لقاء الروم ففروا من غير حرب الى مدينة تدعى بارة وزل الحسن على قلعة تعرف بقلعة فسانة وبنت سراياه الى فلورية وأقام عليها شهرا فسالوه الصالح فصالحهم على مال أخذه منهم ودخل الشتاء فرجع الجيش الى مسيني

وشنى الاسطول بها، فأرسل اليه المنصور يأمره بالرجوع  
الى قلورية فصار الحسن وعبر النجاز الى جراحة فالتقى  
المسلمون والروم يوم عرفة سنة اربعين وثلاثمائة فاستلوا  
أشد قتال رآه الناس فانهمزمت الروم وركب المسلمون  
اكتافهم الى الليل وغنموا أثقالهم وسلاحهم ودوابهم ثم  
دخلت سنة احدى واربعين ففقد الحسن جراحة خصرها  
فأرسل اليه الانبرور يطالب منه الهدنة فهادنه وعاد الحسن  
الى ديو ونى بها مسجد كبيراً في وسطها وشرط على الروم  
أنهم لا يمنعون المسلمين من عمارته وأامة الصلاة فيه  
والأذان وإن لا يدخله نصرائى ومن دخله من الاسارى  
المسلمين فهو آمن سواء كان مرتداً أو مقبلاً على دينه وإن  
أخرجوا حجراً منه هدمت كنائسهم كلها بصقلية وافريقية  
فوفى الروم بهذه الشروط كلها ذلة وصغاراً<sup>(١)</sup>

• • •

أما قلورية فهي جزيرة كبيرة داخلية في البحر مستطيلة

(١) ابن الأثير

شرقي جزيرة صقلية وأهلها أفرنج ولها بلاد كثيرة وأرض واسعة يناسب إليها فيما أحسب أبو العباس القلقشوري حدث عنه أبو داود السجستاني في سنته<sup>(١)</sup> وقد غزى المسلمون أزمان بني الأغاب هذه الجزيرة وأرض أنكبردة ولومبارديه، وامنوا فيها واستولوا على مدينة بارة<sup>(٢)</sup> الواقعة على جون البناديق<sup>(٣)</sup> أيام قارله<sup>(٤)</sup> انهروود الفرج، وكذلك استولوا على مدينة طارنت من أرض أنكبردة ومدينة ملف وقلعة قسانه وبلدان أخرى. وفرعوا أبواب رومة العظيمة، وغنموا منها غنائم لا يستقام لها قيمة<sup>(٥)</sup> وضربوا الجزيرة على اليايا عظيم النصرانية — وذلك عدا أنهم فتحوا مدينة جنوة الواقعة على خليج الجنوبيين وأكثر جزائر هذا البحر الرومي —

(١) معجم البلدان (٢) جاء في دائرة معارف البستاني ما يأتي: هي مدينة في إيطاليا على شبه جزيرة صغيرة في بحر أدرياتيكي: — إلى أن قال وفي عهد شارلمان كانت بارة أكبر حصن للمغرب على هذا البحر (٣) بحر الأدرياتيكي (٤) هو شارلمان وانهروود أي امبراطور (٥) لا تقدر قيمتها نقاسة

وجلة القول أن السورن اتخذوا في بلاد الأرض الكبيرة  
 وألحوا في قهرها ، وغلبوا أممها على أمرها . وضربت  
 أساطيلهم بجزائر هذا البحر ضراء الغنياء بمراثيها ، وأدبل  
 لهم بها من أملاكها <sup>(١)</sup> وأناسها ، وذلك كله بما قوى عزائمهم  
 من الحق واليقين ، والف بين قلوبهم من وشائج هذا الدين  
 وبما ألبانهم إليه الحال . وامتلاكهم لسيف <sup>(٢)</sup> هذا البحر الجم  
 الأهوال . مما أحكمهم وأشغفهم بحبه . وجعل لهم درية  
 بركوبه وحربه . وأغرام بأفشاء الأساطيل فيه ينقضون بها  
 على جزائره التي يخطئها المد والاحياء . وعلى عدوته  
 الشمالية <sup>(٣)</sup> وهي أمتع من المقاب في أجواز الفضاء . وعلى  
 أهلها من أمم فرنجية وهي أعز وأبعد مثالا . وإن كان  
 للمسلمين

شرف ينطع السماك بروفيه وعز يتأقل الأجيالا



(١) ملوكها (٢) السيف ساحل البحر والجمع أسياف

(٣) سواحل أوروبا الجنوبية

وهم البحر ذو الغوارب الا انه صار عند نورك آلا

• • •

وقد كان المسمون في الصدر الاول يتعاشون ركوب  
البحر حتى كان من محرم الخطاب لما كتب الى عمرو بن  
العاص وهو على مصر يستوصفه البحر فكتب اليه عمرو  
فيما كتب . ان البحر خالق عظيم يركبه خلق ضئيف . دود  
على عود . - ان او عز يمنع المسمين من ركوبه فتخرجوا  
منه ويبروا على ذلك حينئذ من الدهر . حتى اذا كان عهد  
معاوية اذن في ركوب اتباجه . والجهاد على منون امواجه  
وذلك لان العرب ابداوسه لم يكن لهم مران عليه وحذق  
بركوبه بينا الروم والفرنجية نادسهم احواله ومرباهم في  
التقلب على اعواده للحرب والاتجار مرتوا عليه واحكموا  
الدرة بثقافته والحرب في اساطيله حتى كان من ذلك ان  
اغار الروم من المدوة الشمالية على افريقية من المدوة  
الجنوبية والقوط على المغرب منها - اجازوا في الاساطيل  
وملكوها وتقلبوا على البربر بها وانزعوا من أيديهم



امرها وكان لهم بها المدن الحافلة مثل قرطاجنة وصنعة . وكان  
صاحب قرطاجنة من قبيلة يحراب صاحب رومه وييمث  
الاساطيل بحربه مشحونة بالسكاكر والمدد - فكان ذلك  
ديدن أهل هذا البحر الساكنين حفافيه في القديم والحديث  
فلما استقر الملك لأمر بوشنخ سلطانهم وسارت أم الاعاجم  
خولا لهم وتحت أيديهم . وصت اليهم كل ذى صنعة يبلغ  
صناعته واستخدموا من النواتية في حاجاتهم البحرية عما  
وتكررت ممارستهم للبحر وثقافته . شرهوا الى الجهاد فيه  
فأنشأوا السفن والاساطيل وشحنوها بالرجال والسلاح  
وامطوها بالسكاكر والمقاتلة لمن وراء البحر من هذه الامم  
الجراء . واخصوا بذلك من ممالكهم ونفوسهم ما كان اقرب  
لهذا البحر وعلى حافته مثل الشام وافريقية والمغرب  
والاندلس . فاعزز عبد الملك بن مروان الى حسان بن النعمان  
عامل افرريقية باتخاذ دار الصناعة بشواس لانشاء الآلات  
البحرية حرصاً على مراسم الجهاد ومنها كان قتح صقلية أيام  
زيادة الله بن الاغلب كما سيمر بك . ثم تسلسل الامر حتى

بلغ شأن الأساطيل عند العبيديين أصحاب افريقية وعند  
بنى أمية بالأندلس مبلغاً غلبوا معه على هذا البحر من جميع  
جوانبه وعظمت صولتهم وسلطانهم فيه وصار لا قبل  
لأمم النصرانية بأساطيلهم به وما سكوا سائر الجزائر  
المنقطعة عن السواحل منه مثل اقريطش وصقلية وقبرص  
ومالطة وقومرة وسردانية وميورقة ومنورقة وبابسة (١)  
كما سيمر بك ان شاء الله .

• • •

ولقد كان من أجل عناية العبيديين وبنى أمية بشأن  
الأساطيل وتفوقهم في ذلك على سائر الممالك الاسلامية  
للسبب الذي قدمناه وهو وجودهم على ضفاف هذا البحر -  
أن انبعثت قرايح الشعراء في الاندلس وافريقية بالقول في  
وصف الأساطيل - واختص أدباء هذين القطرين بهذا الباب  
من الوصف حتى لا تكاد نجد لشعراء المشرق بداً فيه - ومن  
أحسن ما سمعناه لشعراء المغرب في الأسطول دالية أبي القاسم

---

(١) ابن خلدون

محمد بن هاني، الشاعر الاندلسي المنقطع الآن للعز المبيدي  
وقد قدمت في صدر هذه الرسالة . وبائية علي بن محمد الياضي  
التونسي شاعر القاسم المبيدي وهي دون الدالية . وفيها يقول  
خرجوا جوانبه مجاذف أتميت

شاو الرياح لها ولما تنعب  
انصاع من كذب كما تفر القطا  
طورا ونجتمع اجتمع الربوب  
والبحر يجمع بينها فمكانه  
ليل يقرب عقربا من عقر  
وعلى صكوا كبها أسود خلافة  
نحتال في عدد السلاح المذهب  
فكانما البحر استعار بزيمهم  
نوب الجمال من الربيع المعجب  
ومنها في وصف الشراع  
ولها جناح يستعار بطيرها  
طوع الرياح كراحة المتطرب

يملأها حذب العباب مظارة  
في كل فج زاخر مفلولاب  
يسمو بأجرد في أمواء متوج  
عريان منسوج الذؤابة شوذب (١)  
يتنزل الملاح منه ذؤابة  
لورام يركبها القطالم يركب  
فدأبما رام استرافة مقعد  
للمع الا أنه لم يشوب  
وكانما جوت ابن داود لم  
ركبوا جوانبها بأعنف مركب  
سجروا جواحم نأرها فتفادفوا  
منها بأأسف مارج مطلوب  
من كل مسجور الحريق اذا انبرى  
من سجنه انمات انصلات الكركب

عربان يقذفه لدخات كأنه  
سبح بكر على الظلام الغيب  
الى أن قال

وتواحق منى الأهل جنح  
لحق المطالب فثبات المهرب  
دعين فيما بينهم الخافة  
ونجش فعل تطاير المتقلب  
كمضائق الحيات وحق ثوابها  
حتى يفهم برك ماء العزب

... بعد، فإن اندمغ القلب من برع القصيد في هذا  
الياب ما لا يحصى كثرة. وما يتم عن عظمة الاساطيل عند  
الدول الاسلامية وبنوهم الذين لا يأتون حتى  
وصل المسلمون إلى ما وصلوا اليه من الصولة واتساع الملك  
وضخامة الساطان.

\*\*\*

ومن هنا تعرف مكان الاساطيل من الدول ولا سيما

دول البحار مثل الدول الإسلامية لهدفتنا . وإن الأسطول  
هو سياج الدولة وعمادها . وبه عزها وعليه بمد الله اعينها ،  
بل هو درعها المسرعة التي تنقذ بها سهام الأعداء وتحول  
وسلاحها الذي تطول به في البحر وتصول . وجناحها الذي  
نطير به في سماء المجد ونجول . وإن دولة لم تكن العناية كلها  
بالأساطيل . وترسلها على متن هذا البحر طيراً أبابيل .  
هي أمم سيئة دولة مقصورة الجناح . وكالأنزل يفتحم  
الهمجاء بنير سلاح .

وما خير كف أمسك الغل اختها

وما خير سيف لم يؤيد بقائم

\*\*\*

ولما نزلت على ربو أخذت ستمى إلى مسجدها الجامع  
لأصلي فيه صلاة الصبح وأثنج صدري ببرد التقي وشعائر  
الإسلام . وأجلو بمضا من وعشاء السفر الزوام . وما زلت  
حتى أخذت عيني بناء شاهقا نعم مأذنته بالعماء . كأنما ننت  
حديثاً إلى ملائكة الله في السماء . أو كأنها تعلن برفعها رفة

الاسلام . وعزة أهله على عبدة الطاغوت والاصنام . وكذلك  
رأيت كل من مر بهذا المسجد من الروم أغضى من مهابة ذلة  
وصغار . وإجلالاً لدين الله وكباراً . مما ألقاه في قلوبهم من  
الرعب واخشاش المسلمين أبو الغنائم الحسن بن علي رحمه الله .

\*\*\*

ولما توسطت باحة المسجد رأيت صفوف المسلمين  
من الرجال وأمامهم في المحراب . كسطور أمامها عنوان  
الكتاب . وخلف الرجال حاجر من خشب يليه صفوف  
المصليات من الذوان . كما تكون هوامش الصفحة بفصلها  
من سائرها أحمر من المداد قان . فانضممت إلى صفوف  
المصلين . وصليت معهم صلاة الصبح . ولما أن سلم الإمام وكان  
فائداً من قواد العرب في هذه البلاد - وكذلك كان أئمة  
المسلمين في الحروب والسياسات . أئمة لهم في التقى  
والصلوات : قام واتكأ على سيفه وقال (١) :

(١) هذه الخطبة من وضعنا ، وإنما قصد تصوير ذلك العصر

من جميع جوانبه



• • •

أبها العرب أنتم الآن بين ظهراني عدو بئس عدو<sup>(١)</sup>  
 يتجرع منكم الفخس. ويتحين بكم الفرص. وبودلويدها لكم  
 الله ضمفاً من قوة. ومننا بنفوسكم من فتوة<sup>(٢)</sup>. وهزيمة  
 من ظفر. واستحالة لعدوكم إلى كدر. فيثب بكم وثبة  
 الغضنفر نل مته الجوع والستار<sup>(٣)</sup>. ويسئل بكم كما يسئل  
 هذا البركان فيرى بحممه والشرار. فإذا فترت منكم الهمم.  
 ووهت المزائم. وأنعمتم السيوف في الأجفان. وقعدتم عن  
 نصر الله في كل آونة وكل مكان. وسكنتم إلى الترف والنعم  
 وجرتكم معاذ الله عن النهج القويم. ودب اليكم ما قد دب  
 إلى هذه الأمم الحمراء. من الحسد والبغضاء. فانكم صاثرون  
 لا محالة إلى ما قد صاروا إليه. وإذا ذلك تبصركم الله بعد  
 نصركم. قللاً<sup>(٤)</sup> وبديل من عزكم ذلاً. ومن كثركم قللاً.  
 ويتشظون بعد على هذا العالم قللاً<sup>(٥)</sup>.

(١) الله شديد الخصومة (٢) بذل وكرم والمراد كما هو

ظاهر بذل النفس (٣) شدة العطش (٤) منهزمين (٥) حالة وتقل

\*\*\*

وبعد أن قرع من كلامه خرج وخرج معه رجاله  
وعلوا متون الجياد وذهبوا إلى حيث يعملون كلفة الدين ،  
ويذبحون النقي والحق واليقين . وينسفون دعائم الشرك  
والإلحاد . ويفكرون اغلال الظلم من رقاب العباد .  
مستمكين بحق قائمين به . إذا نلوا أهل الجور ألوانا  
وما أن قضيت صلاتي خرجت من المسجد وقصدت  
إلى مرسى السفين فوجدت تحت مركبا يريد أن يهجر إلى  
جزيرة سفلية فزائنه ثم أقام وعبر بنا إلى مدينة مسيني  
إحدى مدائن هذه الجزيرة . وأدسى فيها على مرسى عجيب  
يأخذ بالأبواب ، وذلك أن أكبر ما يكون من السفن يرسى  
من الشاطئ بحيث يتناول ما فيها من البر بالأيدى <sup>(١)</sup>

\*\*\*

وقبل أن نترسل في القول على مدينة مسيني وسائر  
البلدان التي مررت بها في هذه الجزيرة العجيبة نذكرك شيئا  
من تقويمها وناريخها حتى تكون على بينة من أمرها إن شاء الله .

---

(١) زهرة المشتاق

## صقلية

هي جزيرة في البحر كبيرة على شكل مثلث من-أوى  
الساقين . زاويته الحادة من غربي الجزيرة . بينها وبين ريو  
وبلاد قلورية من بر الأرض الكبيرة مجاز ميني حيث  
يتراوح البحر بين ستة أميال وعشرة أميال . وبين ذنبيها  
الغربي وبين تونس نفق وستون ميلا . وزاويتها الجنوبية  
تقابل برطرا بلس من أفريقيا . وبالقرب من زاويتها الشمالية  
جزيرة صغيرة فيها بركان النار الذي لا يعلم في العالم أشنع  
منظرا منه : وهذا بركان اسم جبلين أحدهما هذا والثاني  
في صقلية نفسها في أرض خفيفة التربة كثيرة الكهوف  
ولا يزال يصعد من ذلك الجبل لهب النار تارة والدخان  
أخرى : ومن ثم كانت كثيرة الزلازل بحيث يكثر تهديم  
أبنيتها منها . وسيمر بك قريبا قول صانف في هذا المعنى .

\*\*\*

وقد كانت هذه الجزيرة قبل الفتح خاملة قليلة العمارة

وكانت من عمالات الروم وأمرها داجع إلى الانبرور صاحب  
قسطنطينية: وكان عليها وال من قبل هذا الانبرور يسمى  
قسطنطين. وكانت أفريقية<sup>(١)</sup> تحت ولاية زيادة الله بن  
الأغلب. كان واليا عليها من قبل المأمون بن هرون الرشيد  
فلما كانت سنة ثنتي عشرة ومائتين استعمل الانبرور على  
الاسطول قائدا روميا يسمى فيمي. وكان حازما شجاعا،  
فغزا سواحل أفريقية وعيث فيها وبقي هناك مدة وبعد  
ذلك كتب الانبرور إلى قسطنطين يأمره بالقبض على فيمي  
وتعذيبه. فتمنى الخبر إلى فيمي فانتفض ونعصب له أصحابه  
وسار إلى مدينة سرقوسة إحدى مدائن صقلية فملكها فصار  
إليه قسطنطين فالتقوا وافتتلوا فانهزم قسطنطين إلى  
مدينة قملانية فسير إليه فيمي جيشا فقبضوا عليه وقتلوه  
واستولى فيمي على صقلية وخوطب بالملك وولى على ناحية  
من الجزيرة رجلا اسمه بلاطة فاتفق بلاطة هو وابن عم له  
يسمى ميخائيل كان واليا على بلرم وجماعا عسكرا كثيرا

---

(١) تونس والجزائر وطرابلس الغرب

وقاتلا فيمي فانهزم فيمي وركب في أسطوله الى أفريقية  
مستنجدا بزيادة الله بن الأغلب فيمير معه أسطولا عظيما  
في ثسمائة فارس وعشرة آلاف راجل واستعمل عليهم أسد  
ابن الفرات - قاضي القيروان ومن أصحابه مالك رضى الله  
عنه وهو مصنف الأسدية في الفقه على مذهب مالك -  
وأقلمو من سوسة <sup>(١)</sup> فوصلوا الى مدينة مأزر من صقلية  
وساروا الى بلاطة الذي قاتل فيمي فهزموه والروم الذين  
معه وغنموا أموالهم وهرب بلاطة الى قلورية فقتل واستولى  
للمسلمون على عدة حصون من الجزيرة وجرت وقائع كثيرة  
بين الروم والمسلمين امتدت سنين طويلا وانتهت باستيلاء  
المسلمين على جميع جزيرة صقلية - وبقيت صقلية بيد بني  
الأغلب يتناوبها عمالهم الى أن أдал الله منهم للمسيديين  
ودانت لعبيد الله المهدي أفريقية وما اليها فأخذوا يبعثون

---

(١) هي الآن من أعمال ولاية تونس واقعة على البحر  
الابيض المتوسط على مسافة ١١٠ كيلومترا من تونس الى الجنوب  
الشرقي

عمائم عليها الى أن كانت فتنة أبي يزيد وشغل أبي القاسم القائم والمنصور الميمني من بعده بأمره — فلما انقضت فتنة أبي يزيد عقد المنصور على صقلية لأبي الغنائم الحسن ابن أبي الحسين بن علي الكاكي — وكان له في الدولة محل كبير وفي مدافعة أبي يزيد <sup>(١)</sup> عناء عظيم — فهدد الامور للميمني

(١) أبو يزيد الخارجي هو رجل من زقاته واسم والده كيداد من مدينة توزر من بلاد قسطنطينية بأفريقية فولد له أبو يزيد بتوزر من جارية سوداء ونشأ أبو يزيد في توزر وتعلم القرآن وسار الى تاهرت وصار على مذهب الشكارية وهو تكفير أهل الملّة واستباحة أموالهم ودمائهم والخروج على السلطان ثم أخذ نفسه بالحسبة على الناس وتغيير المنكر سنة ست عشر وثلاثمائة ودعا أهل تلك البلاد فأطاعوه وكثر جمعه في أيام القائم بن المهدي فحصر قسطنطينية ثم فتح تبسة ثم سبيبة وطلب طاملها ثم فتح الارييس فأخرج القائم جيوشاً لحفظ رقاده والقيروان فهزمهم أبو يزيد واستولى على تونس ثم على القيروان ورقاده ثم سار أبو يزيد الى القائم فجهز اليه القائم جيشاً فخري بينهم قتال كثير وأخيراً انهزمت جيوش القائم فسار أبو يزيد وحصر القائم بالمهدية

ومابقيها وغلابها الصغر وعدم القوت ولم يزل حتى رحل عنها  
ورجع الى القيروان وفي أثناء ذلك توفي القائم وملاك ابنته  
المنصور فجز المنصور الماسكر وسار بنفسه الى القيروان  
واستمادها من أبي يزيد وانهرمت عما كر الخارجي وسار المنصور  
في أثره فأدركه على مدينة باغية فهرب الخارجي من موضع الى  
آخر حتى وصل طينة وهرب حتى وصل ابي جبل للبربر يسمى  
برزال والمنصور في أثره واشتد على عسكر المنصور الحال فرجع  
المنصور الى بلاد صنهاجه وبلغ الى موضع يسمى قرية عمره  
وانصل به هناك الامير زيري الصنهاجي وهو جد ملوك بني  
باديس فآكرمه المنصور غاية الاكرام ثم رحل الى المسيلة وكان  
قد اجتمع الى أبي يزيد جمع من البربر وسبق المنصور الى المسيلة  
فلما قدم المنصور اليها هرب عنها ابو يزيد الى جهة بلاد السودان  
فاقتفى المنصور أثره حتى قابله فاقتتلوا فانهزم ابو يزيد واخذت  
أنتقاله فالتجأ الى قلعة كتامة وهي منيعة فحاصرها المنصور وداوم  
الرحف عليها الى أن ملكها عنوة فهرب ابو يزيد من القلعة من  
مكان وعرف فقط منه فأخذوه وحملوه الى المنصور فسجد المنصور  
شكراً لله وكثر تكبير الناس وتهليلهم وبقى ابو يزيد في الامر  
مجرى ما فات في المحرم سنة ست وثلاثين وثلاثمائة فسلخوا جلده  
وحشوه تبناً وكتب المنصور الى سائر البلاد بالفتح وبقتل ابي



وغزا بلاد قلوبيه وأقام والياً على صفلية ومظليها إلى أن استأثر الله بالمنصور وقام بالأمر من بعده ولده المملوك لدين الله أبو تميم محمد فسار الحسن إليه بأفريقية سنة إحدى وأربعين واستخلف على ما ورثه ابنه أبا الحسين أحمد. ولا يزال هذا الأمير أيده الله والياً على صفلية وما إليها إلى اليوم وهو سنة خمس وأربعين وثلاثمائة ومقامه ببلرم حضرة هذه الجزيرة.

•••

وهذه الجزيرة جندٌ خصيبة <sup>(١)</sup> وكلاًها لا ينقطع في صيف ولا شتاء. وهي كثيرة الأمواه والبيوت والفواكه والأرزاق <sup>(٢)</sup> وجبالها كلها منمرة بالتفاح والشاه بلوط <sup>(٣)</sup> والبندق والأجاص. ومنها يجلب الجوز والقسطل إلى بلاد أفريقية ويجلب منها كثير من القطن — وفيها

---

يزيد وعاد إلى المهديّة، وكان أبو يزيد قصيراً أعرج قبيح الصورة،  
يلبس حبة صوف قصيرة، اهـ ملخصاً من ابن خلدون

(١) خصيبة جدا (٢) كتاب الجغرافية لأبي عبد الله محمد  
بن أبي بكر الزهري (٣) هو المعروف في مصر بأبي فروة

معادن الذهب والفضة والنحاس والرصاص والزئبق<sup>(١)</sup>  
وهي مستنيرة العمران كثيرة المدن والقرى والضياح: فقد  
أخبرني كبرت ثقة أن بهذه الجزيرة مائة وثلاثين بلداً<sup>(٢)</sup>  
بين مدينة وقامة عدا ما فيها من الضياح والمنازل والبقاع -  
وكلها مسكونة بالمسلمين - ملأى بالمساجد والفنادق  
والحمامات - وفيها من العلماء والفلاسفة والادباء - ما لا يكاد  
يدركه العد والاحصاء<sup>(٣)</sup> ومن مشهور مدائنها مدينة

(١) تركة المشتاق ورحلة ابن جبير ومعجم البلدان

(٢) معجم البلدان

(٣) انجبت جزيرة صقلية كثيراً من العلماء والادباء والشعراء  
والفلاسفة والاطباء ممن لهم شأن في الادب العربي واكثرهم كان  
بعد زمن الرحلة - ولا بأس بإيراد بعض مشهورهم هنا حتى تكون  
هذه الرسالة وحواشيها مقيمة في هذا الباب - فمن علماء هذه  
الجزيرة ابو القاسم علي بن جعفر السعدي الصقلي المعروف بابن  
القطاع - قال ابن خلكان: كان أحد أئمة الادب خصوصاً اللغة وله  
تصانيف نافعة منها كتاب الافعال أحسن فيه كل الاحسان وهو  
أجود من الافعال لابن القوطية وان كان ذلك قد سبقه إليه ، وله

كتاب ابلية الامماء جمع فيه فاهى وفيه دلالة على كثرة اطلاعه  
وله عروض حسن جيد ، وكتاب الدرة المظيرة في المختار من  
شعر شعراء الجزيرة ( أى شعراء جزيرة صقلية ) وكتاب الملح  
الملح جمع فيه خلفا من شعراء الاندلس - وكانت ولادته في العاشر  
من صفر سنة ثلاث وثلاثين واربعمئة بصقلية ، وقرأ الادب على  
فضلائها كاهن عبد البر القنوي وأمثاله وأجاد في النحو غاية  
الاجادة ورحل عن صقلية لما اشرف على تملكها الافرنج ووصل  
الى مصر في حدود سنة خمسمائة وبالع أهل مصر في اكرامه -  
ومن شعره في التثغ

وشادن في لسانه عقد حلت عقودي واوهنت جلدي  
خابوه جهلا بها فقلت لهم اما سمعتم بالنفث في العقد  
وله من قصيدة

فلا تنفذن العمر في طلب الصبا ولا تشقين يوما بسمدي ولا نعم  
ولا تشدين اطلال مية بالقوى ولا تنفغن ماء الشؤذ على رسم  
فان قصاري المرء ادراك حاجة وتبقى مدمات الاحاديث والاثم  
الى آخر ما قال - وتوفي بمصر في صفر سنة خمس عشر وخمسمائة  
ومن علماء صقلية ابو عبد الله محمد بن ابي محمد بن ظفر الصقلي  
المنعوت بحجة الدين ، قال ابن خلكان : صاحب التصانيف المنعمة

ككتاب سلوان المطاع: في عدوان الاتباع: صنفه لبعض القواد  
بصقلية سنة أربع وخمسين وخمسة: وخبر البشر بخبر البشر وكتاب  
الينبوع في تفسير القرآن الكريم وكتاب نجباء الانبياء وشرح  
المقامات للحريري وهما شرحان كبير وصغير

وبروي له شعر فمن ذلك قوله

هلكك في قاي فهل أنت عالم بأنك محمول وانت مقيم  
الا أن شخصاً في فؤادي عملة واشتافه شخص على كريم  
ال أن قال - وكانت نشأته بحكمة وتنقل في البلاد ومولده  
بصقايه وسكن آخر الوقت بمدينة حماة وتوفي بها سنة خمس  
وستين وخمسة - ومن علمائها ابو عبد الله المازري وسيأتي القول  
عليه - ومنهم ابو بكر محمد بن سابق الصقل قال ابن بشكوال  
في الصلة: كان من أهل الكلام ماثلاً اليه قدم الاندلس وأخذ  
عنه أهل غرناطة وتوفي بمصر سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة -  
والقاضي الرشيد احمد بن قاسم الصقلي قال المهاد: طرأ على مصر  
وكان قاضي قضائها في أيام الافضل: قال: دخل يوماً على الافضل  
وبين يديه دواة من عاج عملة بمرجان فقال

ألين لداود الحديد بقدرة بقدره في السرد كيف يريد  
ولأن لك المرجان وهو حجارة على أنه صمب المرام شديد

وابو الفضل العباس بن عمرو الصقلي قال في جذوة المقتبس  
كان بالاندلس وروي الحديث هناك - والفقيه ابو موسى  
عيسى بن عبد المنعم الصقلي قال العماد : كان كبير الشأن . ذا الحجة  
والبرهان . الى ان قال : ومن يدعي قوله في الغزل . وهو اخي  
من نجح الامل

يا بني الاصفر انتم بدمي منكم القاتل في والمسيح  
أصابح حجر من يهراكم وحلال ذلك في دين المسيح  
يا عايل الطرف من غير منى وادا لاحظت قلد فمحيح  
كل شيء بعد ما أبصرتمكم من صنوف الحسن في عيني فييح  
وولده الفقيه أبو عبد الله محمد بن عيسى بن عبد المنعم الصقلي  
قال العماد : كاتب شاعر ، بارع ماهر ، مهندس منجم ، لغزاريب  
الضاحية متسليم ، وفي ملتقى اول العلم كمي معلم ، الى آخر ما هنالك  
وقال صاحب طبقات الحكماء . هو من أهل العلم بهله الهندسة  
والنجوم ماهر فيهما قيم بهما مذكور بين الحكماء هناك  
ومن شعره

كثمت الذي بي فانتفعت بكتاني

وأعلنت حالي فتهمت بأعلاي

وما خلت أذن الأمر ينفضي إلى الذي  
رايت ولكن كل شيء يرى فاني

ومنه

أما والله عاشق لك حتى ليس لي عنك بآمني النفس صبر  
وحياتي إن تم لي منك وصل ومماني إن دام لي منك هجر  
« وهذا أبو عبد الله هو غير أبي عبد الله الصقلي الميhsف  
المذكور في الرحلة » ومنهم أبو الحسن علي بن حمزة الصقلي قال في  
جدوة المقتبس : دخل الأندلس قبل الأربعين وأربعمائة وكان  
ينكلم في فنون ويشارك في علوم إلى آخر ما قال — والفقيه  
أبو محمد بن صمئة الصقلي ذكره العهاد في الخريدة . ومن أطباء صقليه  
أبو سعيد بن إبراهيم الصقلي صاحب كتاب المنجيع في التداوي  
من صنوف الأمراض والشكاوى . وأحمد بن عبد السلام الشريف  
الصقلي صاحب كتاب الأطباء في الأمراض من الفرق إلى القدم  
ذكرهما صاحب كشف الظنون — ومن فلاسفتها أبو عبد الله  
الصقلي الآتي ذكره في الرحلة وأبو عبد الله المتقدم ذكره  
وأبو حفص عمر بن الحسن بن القوي السكاتب ذكره العهاد وقال إنه  
شاعر كاتب منجم مهندس — ومن أدباؤها الشاعر الكبير ابن  
حمديس قال ابن بسام : هو شاعر ماهر يقرطس أغراض المعاني  
البديعة ، ويمر عنها بالالفاظ النقية الرقيقة ، ويتصرف في

التشبيه المصيب . وبغوص في بحر الكلم على در المعنى الغريب ،  
فن معانيه البديعة قوله في صفة نهر

ومطر د الأجزاء يصقن منته	صبأ أعلنت للعين ما في ضميره
جربح بأشرف الحصى كلما جرى	عليها شكا أوجاعه تخربه
كأن جبالا ربيع تحت حبابه	فاقبل يلقي منه في غدوره
كأن الدجى خط الهجرة بيننا	وقد كلت حاقنه بسدوره
شربنا على حاقنه دون سكره	تقبل شكراً منه عيني مديره

وله من قصيدة

بت منها مستعيداً قبلاً	كنى لها على الدهر اقتراح
وأروى غلل الشوق بما	لم يكن في قدرة الماء الفراح

و أول هذه القصيدة

قم هاتما من كفدات الوشاح	فقد نى الليل بشير الصباح
باكر لي اللذات وركب لها	سوابق الهوى ذوات المراح
من قبل أن توشف شمس الضحى	ريق الفوادي من ثغور الافاح

وكان قد دخل الاندلس سنة احدى وخمسين واربعمائة ومدرح  
المعتمد بن عباد فأحسن اليه وأجزل عطاياده ، ولما قبض المعتمد  
وحبس بأغصان مع ابن حمديس أتيانا عملها المعتمد في الاعتقال  
فقال

أُبَيَّسَ مِنْ يَوْمٍ يَنَاقِضُ أَمْرَهُ  
 وشهب الدراري في البروج تدور  
 ولما رحلتم بالندي في أكنكم  
 وقلقل رضوي منكم وتبر  
 رفعت لساني بالقيامة قد دنت  
 فهذي الجبال الراسيات تسير  
 وله من أبيات المعاني الغريبة  
 زادت على كحل الميوز تكعلا ويسم نصل السهم وهو قول  
 وله ينشوق إلى صقلية مسقط رأسه  
 ذكرت صقلية والخرى يحدد لنفس نذكارها  
 فان كنت أخرجت من جنة فاني أحدث أخبارها  
 ولولا ملوحة ماء البكاء حسبت دموعي أنهارها  
 ثم يقول بعد ذلك من أبيات  
 ولو أن أرضي حرة لا يثبها  
 بعزم بعد السير ضربة لأرب  
 ولكن أرضي كيف لي بفكاها  
 من الأسرى أيدي الملوج الكواذب (١)

(١) فرق ابن حديس صقلية بعد أن تمكّن منظمها دوجير أمور منفى  
 وذلك نحو سنة ٤٧١ هـ وكان ابن حديس إذ ذاك سدينا في منتصف العقد الثالث



ويقول من أبيات يصف جارية له عرفت

واوحشتا من فراق مؤنة	يميتني ذكرها وبجيبها
اذكرها والدموع تسبقني	كأنني للأسى اجارها
جوهرة كان خاطري سدة	لها أقيها به وأحيا
يا بحر ارحمت غير مكثرت	من كنت للبيتاع أغيا
أبنا في حشاك مفرقة	وبت في ساحليك أبكيا
ونفحة الطيب في ذوائبها	ومسحة الكحل في مآقيها
عانقها الموت ثم طارها	عن صفة فخر روحها فيها
وبلى من الماء والتراب ومن	أحكام ندين حكا فيها
أما ذا وذاك غيرها	كيف من المعصيرين أفديها

وله يصف عوداً

في حجره اجوف له عنق	نبتت يظهر نخاله حنقه
يمد كفا اليه ضاربة	اعناق احزانها اذا ضربه
قلت ألا فانظروا الى محجب	جاء بسحر فانطق الخشبة

وله

واشراك الردي في الخيب تخفي	كما يخفين في ترب الحضيض
عجبت لجمعه قيهن سيداً	حوي بين القشام واليموض

وله يصف خسوف القمر

والبدر قد ذهب الخسوف بنوره

في ليلة خسفت أواخر مدها

فكانه مرآة في أحيت

فشي احمرار النار في مسودها

ومن أبيات له يصف البق والبراغيث والبعوض

نومي على ظهر الفراش منقص والليل فيه زيادة لا تنقص

من حاديات كالدثاب تذاويت وسرت على عجل فالتزمت

جعلت دمي خراً تداوم شربها مسرعات منه ما لا يخص

فترى البعوض مخنياً ربابه والبق أشرب والبراغيث رقص

واليك أبيات له من السهل الممتنع يصح أن ينفي بها

هات كأس الراح أوخذها اليك ينزل اللهو بها بين يديك

ريقة العيش بها فاخلع على شفيتها كل حين شفيتك

وأطع فيها ندعيك بها حكماً واعص عليها ما ذليكي

وإذا حققت منها شفقاً طلعت حمرة في وجهتيك

وتناول نشوة من روضة طلعت كالشمس بالنجم عليك

تتغنى بنسب قلته فهوها راجع منك اليك

فاوصت في الوصل عيني عينا فازدهت عجباً وقالت ما لديك

أعطي أنت ماذا تشتهي فلت قطق بيدي رمانتيك  
فانثقت كبرا وقلت ويلنا أو هذا كله يطلب وملك  
أنا شمس وبعيد غلكي وضيق فافر من راحتك  
فوبدا أمرك لي من قبل ذا ما رأيت ناظرني ناظرتيك  
وشمره كله جيد مختار بهم عن غولته وصدق زعنه الشمرية  
وله ديوان شعر يوجد منه نسخة في دار الكتب الملكية  
بمصر توفي سنة سبع وعشرين وخمسمائة بجزيرة ميورقة وفيل  
بيجاية ومن أدائها أبو العرب مصعب بن محمد بن أبي الفرات  
القرشي . قال العماد : ولد بمغلبية سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة  
وخرج عنها لما تغلب الروم عليها سنة أربع وستين وأربعمائة  
قاصداً إلى المعتمد بن عباد . وله من أبيات

إلى م اتباعي للأمانى الكواذب

وهذا طريق المجد بادي المذاهب

أعم ولي عزماق عزم مشرق

وآخر يثني همي للمغارب

ولا بد أن أسأل للعيس حاجة

تشق على أخفاقها والنواوب

على لآمالى اضطراب مؤمل  
ولكن على الأقدار نبح المطالب  
فيا نفس لا تصحى الود أن  
وإن خدعت أسبابه ثم صاحب  
ويا وطنى إن بنت عني قاتى  
سأوطن أكرار العناق النجائب  
إذا كان أصلى من تراب هكلاها  
بلادى وكل العالمين أقارى  
هـ وهذا من قول ابن المعتز

إذا كنت في الناس ذا زوة  
فأنت المسود في العالم  
وحبك من نسب صورة  
نخبر أنك من آدم هـ  
وما صاق عني البسيطة جانب  
وإن جل إلا اعتضت منه بجانب  
إذا كنت دأماً فكأن ذا عزيمة  
فما غائب قال النجاح بقائب

— ومنهم عبد العزيز بن الحسين بن الحباب الأغلبى السعدي

الصقل المعروف بالقاضي الجليس - قال ابن شاعر الكندي صاحب  
قوات الوفيات تولى ديوان الانشاء للقائز ( العلوي صاحب مصر )  
مع الموفق بن الخلال - ومن شعره

المت بذا والليل زهي بفة  
دحرجية لم يكتمل بعند فوداها  
فأشرق منوه الصبح وهو حينها  
وقاحت أراهير الربى وهي رباها  
إذا ما اجتفت من وجهها العين روضة  
أصالت خلال الروض بالدمع أمواها  
وإني لأسرفسقي السحاب لربما  
وان لم تكن الاضلعى مأواها  
إذا اشعلت نار الأمل بين أضلعي  
اضعت على حر الحشا برد ذكرها  
وماني أن يصلي القواد بحرها  
ويضرم لولا أن في القلب سكنها

ومنه

ومن عجب أن الصوارم والقنا يحبس بأيدي القوم وهي ذكور  
واعجب من ذئابها في اكفهم تأجج ناراً والاكف بحود

قال : وكان ابن الجباب كبير الألف وكان الخطيب أبو القاسم  
هبة الله بن البدر المعروف بابن الصياد مولعا بألفه وهجاءه وذكر  
ألفه في أكثر من ألف مقطوع فانتصر له ابن قادوس الشاعر فقال

يا من يعيب أوفنا الذم      هم التي أيسر تعاب  
الألف خلقه ربنا      وفروا لهذا القم اكتساب

مات سنة إحدى وستين وخمسة وقد أضاف على السبعين  
- ومنهم أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن الشرون الكاتب  
الصقل صاحب كتاب الخشار في النظم والنثر ، لأقام في مصر  
ذكره العماد وأورد له شعراً جليلاً . ومنهم تاج الدولة جعفر بن  
ثقة الدولة يوسف بن عبد الله بن محمد بن الحسين القضاة الكلي  
صاحب سقاية . قال ابن خلكان كان أدبياً شاعراً وله الأبيات  
الساورة في غلامين على أحدهما نوب ديباج أحمر وعلى الآخر نوب  
ديباج أسود وهي

أرى بدرين قد طامعا      على غصنين في نسق  
وفي ثوبين قد صبغا      صبغ الخلد والحدق  
فهذي الشمس في شفق      وهذا البدر في غسق

وكان عمله لهذه الأبيات سنة سبع وعشرين وخمسة .  
ومنهم أبو عبد الله محمد بن علي الصباغ الكاتب قال ابن القطاع :

كان في عهد ابن رشيق وبينهما مراسلات وله  
قوسى الذين اذا السابك انشأت  
دون السحاب سعائياً من غير  
برقت صوارمهم وأمطرت الغلا  
علقاً كثر نار الحيا المتفجر  
الوارين ولا يقداد وتيرهم  
والفانكين محمير وغيرهم  
والمانعين حاتم ان برنى  
والحامين لكل داء يعثرى  
- واى الفضل مشرف بن راشد قال ابن القطع الفائل  
سرت ورداء الليل نسجم حالك  
ولا سائر الا النجوم الشوايك  
عشية اعشى الدمع انسان مقلتي  
ونمت بأسرار الدموع السوافك  
وطاف الكري بالطرف وهو محجب  
كما طاف بالبيت المحجب فاحك  
سرت موهنا ثم استقلت فودعت  
بجانبها حقف من الرمل حالك

به نفعن بان أحمم البدر طالماً  
عليه فناع من دجى الليل حالك  
واحور مكحول المدامع عاقني  
عن الصبر فاستولت عليه المهالك

- والامير ابو محمد عمار بن المنصور الكاكي قال ابن القطاع :  
كان من أفاضل العلماء ، وسادات الامراء ، وذو يد في الفقه  
والحديث وله :

تقول لقد رأيت رجال نجد وما انصرت مثلك من عيان  
أثقت وقائع النمرات حتى كأنك من رداها في امان  
الي كم ذا المهجوم على المنايا وكم هذا التعرض للطمعان  
فقلت لها سمعت بكل شيء ولم أحمم بكاي جبان  
وقال في ان عمه شكابة

فلننتك سيفاً انتضيك على العدى  
وما خلت اني انتضيك على نفسي  
وجئتك ابني رفعة وكرامة  
فأسميت مقهوراً بقربك في حبس



بلرم قسبة هذه الجزيرة . وسيأتي القول عليها مفصلاً عند  
ذكر وصولنا إليها ان شاء الله . وبين مدينة بلرم هذه  
ومدينة مسيني توجد المدن الآتية واقعة على ساحل البحر  
غربي هذه الجزيرة وهي مدينة ترمه وليبري وبقطش  
وجفلوذ والقارونية وقلمة القوارب وميلاص وجطين<sup>(١)</sup>  
وشنت ماركو . وبين مسيني وبلرم على مسافة البحر  
شرق الجزيرة وجنوبها تقع البلدان الآتية . على الترتيب  
الآتي هكذا . مدينة طبرمين بشرقي مدينة مسيني على  
مرحلة منها . وهي مدينة أذلية قدبة من أشراف البلاد  
وأعيانها<sup>(٢)</sup> . وقلمة حصينة من اصول القلاع وأركانها ،  
وهي على جبل مطل على البحر يسمى جبل الطور<sup>(٣)</sup> وفيها  
كما حدثني أبو عبد الله الصفلي الفايصوف<sup>(٤)</sup> ملعب من  
ملاعب الروم القدبة كأنه شعب يوتان الذي يقول فيه  
أبو الطيب المتنبي

(١) ينسب إليها علي بن عبد الله الجيطيني كما قال ياقوت

(٢) زهرة المشاق (٣) زهرة المشتاق (٤) سيفه الحالة قريباً (سيفه)

مقاني الشجيب طيبا في المقاني  
 بمنزلة الربيع من الزمان  
 ملاعب رجة لو سار فيها  
 ساجات لسار بترجمان  
 طبت فرساننا والخيل حتى  
 خشيت وان كرم من الحران<sup>(١)</sup>  
 غدوة تنفض الاغصان فيه  
 على اعرافها مثل الجمان<sup>(٢)</sup>  
 فسرت وقد حجب الشمس عني  
 وجئت من الضياء بما كفاني<sup>(٣)</sup>

- (١) يقول : دعت هذه المقاني لطيبها خيلنا وفرساننا الى  
 المقام فاستهوت قلوبنا وقلوب خيلنا حتى خشيت على خيلنا أن  
 تقف فلا تبحر هذا المكان وان كانت كريمة لا يبرفها الحران  
 (٢) يقول انه كثير الامواه والشجر فالندي يسقط على  
 اشجاره ليلا فهي تنفض على اعراف الخيل مثل الجمان اي القضة  
 (٣) يقول سرت وهذه الاشجار تحجب عني حر الشمس  
 وتلقى على من الضياء ما احتاجه

والتي الشرق منها في ثيابي  
دنانيراً تفر من البنان<sup>(١)</sup>  
لها نمر تشير اليك منها  
بأشربة وقفن بلا أواني<sup>(٢)</sup>  
وامواه يصل بهما حصاعها  
صليل الحلي في أيدي الغواني

وقد فتح المسلمون هذه المدينة أيام إبراهيم بن أحمد  
ابن الأغاب - وكان عادلاً حازماً في أموره ، آمن البلاد ،  
وعصف بأهل البنى والفساد<sup>(٣)</sup> ونهى الحصون والمخارس  
على سواحل البحر حتى كان نوقد النار من سبته فينتهي  
(١) الشرق الشمس يقول هذا للشجر كثير الورق ملئف  
فضوه الشمس يدخل من خلله فيكون على الثياب كأنه الدنانير  
غير أنه يفر من الأصابع (٢) يقول هذه الأغصان غارها  
رفيقة فكانها لذلك أشربة قائمة بنفوسها ولا أواني لها وهذا  
ينظر إلى قول البحترية (أنت ناك) -  
يخفى الرجاجة لو أنها فكانها في الكف قائمة بغير إناه  
(٣) أفا عليهم واهلكهم

انتخب الى الاسكندرية في الليلة الواحدة<sup>(١)</sup> وذلك<sup>(٢)</sup>  
 لسبع بقين من شعبان سنة ثمان وثمانين ومائتين الموافق  
 اول أغسطس الروم سنة اثنتين وتسعين. وكان لفتح هذا  
 البلد اسوأ وقع في نفس الانبرور صاحب القسطنطينية  
 حتى بقي - بضع أيام لا يلبس التاج وقال لا يلبس التاج  
 محزون<sup>(٣)</sup> - ثم مدينة قضائية على ستة أميال من مدينة  
 ليح الوافدة بنوها وبين طبرمين ، وهي مدينة كبيرة على  
 ساحل البحر في سفح جبل النار وتسمى الآن مدينة الفيل  
 لأن فيها طلسم من حجر على صورة فيل كان منعدوبا  
 فيما غير من الأيام على بناء شاهق ثم نقل ونصب داخل  
 المدينة<sup>(٤)</sup> وبهذه المدينة الاسواق العامرة. والدير لزاخرة  
 والمساجد والجوامع والفنادق والحمامات - ثم مدينة  
 سرقوسة<sup>(٥)</sup> شرقي مدينة قضائية على مرحلتين كبيرتين

(١) ابن الاثير (٢) أي فتح المسلمين مدينة طبرمين

(٣) ابن الاثير (٤) تركة المشتاق

(٥) هي - سقط رأس الشاعر ابن حمديس وولده محمد بن حمديس

منها . وهي من مشهورات المدن وأعيان البلاد . تضرب  
اليها أكباد الابل من كل حاصر وباد . وهي على ساحل البحر  
والبحر يحرق بها من جميع جهاتها . وبها ما يكبر المدن من  
ذكره العماد الكاتب وقال انه أشعر من والده وأورد له شعراً  
جزلاً . ولأن وقتها متأخر عن وقت الرحلة لم نعرض لها في  
الرحلة . وكذلك ينسب اليها ابو عمرو عثمان بن علي بن عمر  
السرقوسي النحوي قال الصلي كان من الملم فكان نحواً ولفه وله  
توايف في القراءات والنحو والمروء وجاء القاهرة وصارت له  
حلقة للأقراء في جامع عمرو . وينسب اليها الفقيه ابو القاسم  
عبد الرحمن بن أبي بكر السرقوسي ذكره العماد في الخليفة وأورد  
له شعراً :

وقد جاءت سرقوسة في شعر لابن فلاقس السكندري يصف  
به مركبا سار به الى منفية قال :

ثم استقلت بي على علائها	مجنونة صبحت على مجنون
هو جاء تقسم والرياح تقودها	بالنون أقام من ضمام فنون
حتى اذا ما البحر أبدته الصبا	ذا وجية بالموج ذات غصون
القت به النكباء راحة طائت	قلبت ظهور مشاهد ليطون
وتكفلات سرقوسة بأمامنا	في ملجأ الخاشين أمين

الأسواق والخانات والمساجد والحمامات والمباني الرائقة  
والأفنية الواسعة المونقة . ولها إقليم كبير طوال كله مزارع  
وجنات وأثمار . وقد لما كان بها سربر ملك الروم ، فلما ملك  
المسلمون بعض الجزيرة نقلت دار الملك إلى مدينة قصر يانه إلى أن  
امتلك المسلمون سائر الجزيرة . وقد فتح المسلمون سرفوسة  
هذه رابع عشر رمضان سنة أربع وستين ومائتين الموافق  
عشرين مائة الروم سنة سبع وسبعين وثلاثمائة - ثم مدائن  
نوطس وشكلة ودغوص وبتيه<sup>(١)</sup> وكر كنت<sup>(٢)</sup> وشافه<sup>(٣)</sup>

---

(١) وهي بلد عبد الرحمن بن محمد بن حمير البصري الصقلي  
ذكره الحماد الكاتب في خريدة العمر وأورد له قصيدة مدح بها  
رجار ( روجر النور مندي ) (٢) ينسب إليها محمد بن الحسن  
ابن علي أبو بكر الكركنتي الفقيه المالكي قال المقرئ في كتاب  
المقتضى كان من الأخيار وأفاضل المسلمين قدم الإسكندرية وتوفي  
سنة ٥٣٧ (٣) قال ياقوت ينسب إليها أبو عمر عثمان بن حجاج  
الشافعي الصقلي من سكان الإسكندرية لقبه السلقى وعاش عنه  
وتوفي في محرم سنة ٥٤٤ وتفق على مذهب مالك على الكبر  
وكتب كتباً كثيرة في الفقه

ومأزر<sup>(١)</sup> ومرسى على وطر ابنش<sup>(٢)</sup> ومدائن اخرى كثيرة<sup>(٣)</sup> وكلها على ساحل البحر كما اسلفنا عدا مدينة

---

(١) واليه ينسب ابو عبد الله محمد بن عمر بن محمد النعماني المازري الفقيه المالكي المحدث قال ابن حلكان هو أحد الاعلام المشار اليهم في حفظ الحديث والكلام عليه وشرح صحيح مسلم شرحاً جيداً سماه كتاب المعلم بموايد كتاب مسلم وعليه بنى القاضي عياض كتاب الاكمال ، وله في الادب كتب متعددة وله كتاب ايضاح المحصول في رهن الاصول وكان فاضلاً متقناً ونوفى في الثامن عشر من شهر ربيع الاول سنة ست وثلاثين وخمسة مائة وعمره ثلاث وثمانون سنة

(٢) ينسب اليها عبد الرحمن بن أبي العباس الكاتب الطراينشي اورد له المهاد الكاتب في طريدة ابياتاً جزلة في وصف متنة وكذلك ينسب اليها ابو الحسن بن عبد الله الطراينشي ذكره المهاد ايضاً واورد له شعراً ، وسليمان بن محمد الطراينشي ذكره ابن القطاع في الدررة الخطيرة .

(٣) ومن مدائن صقلية مدينتا مختطار وبلنوية ذكرهما ياقوت قال ومن الاولى ابو بكر عتيق السعنطاري الرجل الصالح

العابد له كتاب كبير في الرقائق وكتاب دليل القاصدين يزيد على  
عشرة مجلدات قال : قال ابن القطاع ، العابد ابو بكر عتيق بن  
علي بن داود المعروف بالمنطاري احد عباد الجزيرة المجتهدين  
وزهادها العاملين ، ومن رفض الاولى ولم يتعلق منها بسبب ،  
ومطلب الاخرى وبالغ في الطلب ، وسافر الى الحجاز فحج وساح  
في البلدان من ارض اليمن والشام الى ارض فارس وخراسان ولقي  
من بها من العباد واصحاب الحديث والزهاد فكتب عنهم جميع  
ما سمع وصنف كل ما جمعه في دخول البلدان ولقاء العلماء  
كتاب بناء على حروف المعجم في غاية الفصاحة وله في الرقائق  
واخبار الصالحين كتاب كبير لم يسبق اليه مثله في نهاية الملاحاة  
وفي الفقه والحديث تأليف حسن في غاية الترتيب والبيان وله  
شعر في الزهد ومكائد الزمان - ومنه قوله

فتن أقبلت وقوم غفول      وزمان على الايام يسـول  
ركبت فيه لا تريد زوالا      عم فيها الفساد والتسـليل  
ايها الخائن الذي شأنه الانم م      وكسب الحرام ماذا تقول  
بعث دار الخلود بالنم البخر م      بدنبا صما قريب زول  
قال وقد توفي لثمان بقين من ربيع الآخر سنة ٤٦٤ - قال  
ياقوت والي بلنوبة ينسب ابو الحسن علي بن عبد الرحمن واخوه



رغوص فان بينها وبين البحر نحو اثنى عشر ميلا —  
 اما مدينة قهرمانه فهي في وسط الجزيرة على سن جبل  
 وهي مدينة اذلية قديمة . وقد كان فيها سرير ملك الروم  
 نقل اليها كما أسلفنا بعد ان ملك المسلمون مدينة سرقوسة  
 لخصائنها . وقد فتح المسلمون هذه المدينة يوم الخميس  
 منتصف شوال سنة اربع واربعين ومائتين الموافق سلخ  
 يناير الرومي سنة تسع وخمسين وثمانمائة . ولما فتحها العباس  
 الأغلبي بنى فيها في الحال مسجدا ونصب فيه منبرا وخطب  
 فيه يوم الجمعة وذل الروم بصقلية يومئذ ذلا عظيما .

« وبمد » فهذا الذي ذكرنا من بلدان هذه الجزيرة  
 انما هو غيض من فيض ونحن اذا حاولنا ذكر سائر المدن

عبد العزيز العسلي البلسوي القائل

بحق المحبة لا تهمني	فاني اليك مشوق مشوق
ولا تنس حق الوداد القديم	فذلك عهد وثيق وثيق
وكن ما حييت شقيقا علي	فاني عليك شقيق شقيق
ولا تهمني فيما أقول	فواقه اني صدوق صدوق

والقرى والقلاع المعروفة في هذه الجزيرة ، لاحتجنا الى  
اسفار كثيرة ، وفي هذا القدر كغناه .

وقد رأينا من تمام الفائدة أن نصور للتأخر في هذه  
الرسالة جزيرة صقلية وبعض بلدانها المشهورة وبلاد فلورية  
ومدينة ريو وجزائر اقريطش وسردينية وفرشقة وميورقة  
ومثورة ويابسة ومدينتي الاسكندرية والمربة وبالجملة كل  
ما جاء له ذكر في هذه الرسالة .

وقد آن لنا أن نرجع الى ما نحن بمصدده

\*\*\*

### مدينة مسيني

اما مدينة مسيني فهي في ركن من الجزيرة بشرقيها<sup>(١)</sup>  
مستندة الى جبال قد انتظمت حضيضها وخنادقها والبحر  
يمتدح أمامها في الجهة الجنوبية منها ، ومرساها أعجب  
مراسي البلاد للبحرية كما اسلفنا لأن المراكب الكبار

---

(١) ابن جبير



تدنو فيه من البر حتى تكاد تمسكه ولا يحتاج الى ذواديق  
في وسطها ولا في قاربها الا ما كان مرسياً على البعد منها  
يسيراً فتراها مصطفة مع البر كاصطفاف الجياد في مراتبها  
واصطفلاتها وذلك لافراط العمق فيها<sup>(١)</sup>

وهذه ميني هي رأس جزيرة صقلية وهي كثيرة  
العماثر والضياع. وارضها طيبة المنابت وبها جنات وبساتين  
ذات اثمار كثيرة ولها أنهار غزيرة عليها ارجاء حمة<sup>(٢)</sup>

• • •

ولما نزلت هذه المدينة سلمت امتعني الى أحد الحالين  
وقصدت منه الى أحد الفنادق فذهب بي الى فندق قائم  
على جبل مطل على المدينة. وكان لأحد مغاربة أفريقية. فاحتق  
بي صاحبه وبالغ في اكرامي واحتفل في راحتي حتى أناني  
برفة حاشيته وطيب أنسه بحاشم السفر وذل الاغتراب. وقد  
صادفت في هذا الفندق أبا عبد الله الصقلي الفيلسوف  
وكان قد نهد حفظه الله من بلرم الى ميني لما علم بقدومي

---

(١) الأدريسي (٢) ابن جبير

فكمل انسى به وعراى من النبطه والصرور ما لا يفوم بالعبارة  
عنه بيان . ولا يروم اطلاقه في لسان . ولا سما حين اخبرني  
ابو عبدالله انه ينتوى الذهوب الى الاندلس وهي متواي  
ومقصدي .

• • •

ولما رأيت ابا عبدالله . وكنت لم اراه قبل ذلك بيداني  
سمعت بفضله الجلم وعلمه الفرير حتى شغفت برؤيته . والأذن  
تمشق قبل العين احيانا . رأيت منه رجلا تشد اليه الرجال ،  
وتضرب الى علمه اكباد الآبال ، ويصاب عنده مقطع الحق  
واليقين ، ويألفي لديه مفصل المسدات في علوم الحكمة والدين  
من مبلغ الاعراب اني بعدها

شاهدت دسطالبس والاسكندرا

واقعت ككل الفاضلين كأنما

رد الاله نفوسهم والاعصرا

ولا جرم فان ابا عبيد الله فيلسوف عصره . وواحد  
قطره . وهو في علم الطب والحكمة منقطع النظر لانكاد

تفتح العين على مثله . وقد حذق اللسان الاغريقى واحكم  
معرفة حتى كأنه من أهله . وهو في الادب منظومه  
ومستوره نادرة الفلك وبكر عطار .

•••

ولقد أقت في ميني ثلاثة ايام ببايلها أناسي فيها  
ابو عبد الله الصقلي الفيلسوف بأدبه وظرفه ورقة حاشيته  
ما يعرفو الغريب في البلد النازح من الوحشة والانتقاض .  
ثم علمنا في اليوم الرابع لمقامنا أن قد ارست على ميناء هذا  
البلد سفينة كبيرة قادمة من القسطنطينية المظمية قاصدة  
الى بر الاندلس : فاعترمت أنا وأبو عبد الله أن نساور فيها ،  
وكان هذا المزم من تمام فضل الله علينا وحسن توفيقه اذ  
أصبنا في هذا المركب عند نزولنا فيه منية النفس ومطمح  
الروح . فضل المدينة . التي ضرب الدهر بيني وبينها أياما كانت  
على قاتها كأنها شهور الى أعوام . وكان معها صاحبها علم  
المدينة وقلتم الرومية . ومن كاعلمت من حذق الغناء ويعلم  
فيه بمد أن تعلمته في المدينة المشرفة على صاحبها افضل

الصلاة وأنتم النسل . وهذه قلم كما أخبرتني اندلسية الاصل  
رومية من سبي البشكنس وحملت صغيرة الى المشرق فوَقَّعت  
بالمدينة المنورة ولُفَّنت هناك الفناء ، ثم اشترت مع علم  
لامير المؤمنين بالاندلس عبد الرحمن الناصر

• • •

وقد أخبرتني فضل أن المركب الذي كانت فيه لما  
ارسي على ميسني بعد ارسائه على ريو لشراء ما يحتاج اليه  
من الميرة والطعام القبي في روعها هي ومن معها أن ينزلن  
في ميسني ويتركن هذا المركب - وهو لامير المؤمنين  
عبد الرحمن الناصر - خشية أن يأمره ومن فيه عمال المعز  
لدين الله الفاطمي لأن بلاد صقلية إحدى ولايات المعز ، وقد  
علمت أن المركب كان قد تحوش وهو ذاهب الى المشرق  
بمركب للمعز ، فأحفظ المعز هذا الامر واخذه منه المقيم  
المقعد<sup>(١)</sup> وحمله على أن يضوى كشحه<sup>(٢)</sup> على التنازل من  
الناصر - ثم أقامت فضل هذه المديدة في فندق من فنادقها ،

(١) الفضب (٢) يعزم

في رُبض من ارباضها ، فقلت يا عجباً كل العجب  
أليس غريباً ان نكون ببلدة كلاتا بها ناور ولا تسكلم

• • •

أما نها هذه السفينة الرومية فذلك أن قسطنطين بن  
ليون انبرور الروم « امبراطور دولة الرومان الشرقية »  
كان قد اهدى منذ ثمان حجج إلى امير المؤمنين عبد الرحمن  
الناصر هدايا ذات قدر عظيم ، يتقرب بها اليه ، ويهيئ  
بذنيه لديه <sup>(١)</sup> واستدفاعاً لمكره وكيد - واستجلاً بالمعاطفة  
ووده ، واستظهاراً به على أخذ بلاده « بلاد قسطنطين »  
المعز لدين الله <sup>(٢)</sup> وكان من هذه الهدايا كتاب ديسقوريدس  
الطبيب ، مصور الحشائش العجيب ، وكتاب هروشيئ  
« هيرودوتس » المؤرخ الرومي العظيم ، وكان الكتاب  
الاول مكتوباً بالآغريقي . وهو اليوناني القديم ، والكتاب  
( ١ ) يملقه - والبصيرة في الأصل تحريك الكلب ذنبه  
طمعاً أو خوفاً ( ٢ ) كان الفاطميون زمن هذه الرحلة في حروب  
لا تكاد تنقطع بينهم وبين الرومان ، وقد أخذوا من الرومان  
صقلية والجزء الجنوبي من ايطاليا - راجع الكلام على صقلية



الثاني كان مكتوبا باللسان اللطيني . وكتب قسطنطين فيما  
كتب اذ ذاك الى الناصر ان كتاب ديسفوريدس لا يجتنى  
فائدته الا برجل يحسن العبارة باللسان اليوناني ويعرف  
اشخاص تلك الادوية . فان كان في بلدك من يحسن ذلك  
فزت أيها الملك بفائدة الكتاب . وأما كتاب هروشيوس  
فعمدك في بلدك من اللطينيين من يقرؤه باللسان اللطيني  
وان كشفهم عنه نقلوه اليك من اللطيني الى اللسان  
العربي ، - ولم يكن يومئذ بقرطبة من نصارى الاندلس  
من يعرف الاغريقي . فبقي كتاب ديسفوريدس في خزانه  
الناصر كما هو لم يترجم الى العربي ، فلما ولي أمر الروم  
ارمانيوس بن قسطنطين تقدم اليه الناصر <sup>(١)</sup> بأن يبعث رجلا  
يعرف الاغريقي واللطيني ليحسم له عبيد أيكونون مترجمين <sup>(٢)</sup>  
فأرسل ارمانيوس في هذا المركب راهبا عظيما يسمى تقولا .  
وقد أضافت لك أن ابا عبيد الله الصقلي يحسن الاغريقي  
احسانه للطب والفلسفة والتجوم ، وقد كان اخبرني أن

(١) أمره (٢) طبقات الاطباء

الناصر أرسل اليه يستعنه على الوفود اليه ليكون في خدمته <sup>(١)</sup> فكان ذلك سبباً في انعقاد الصحبة بيننا وبين هذا الراهب، وقد اصبنا منه رجلاً جيداً نظرياً والمحاضرة له مشاركة في كثير من العلوم والآداب.

• • •

وقد ألفينا في هذا المركب طيبيين اندلسيين كانا قد رحلا الى الشرق منذ ستين واقاماً هنالك ثيلاً وعشرين سنة ودخلا دار السلام • بغداد • وقرأ فيها على ثابت بن سنان ابن ثابت بن قرة كتيب جالينوس ثم قفلا راجعين الى الاندلس مسقط رأسهما. ونزلا في هذا المركب من أحد الثغور، وهما أخوان يسمى أحدهما عمر والثاني أحمد <sup>(٢)</sup>

---

(١) ذكر ابن جليل أن أبا عبد الله الصفي كان في الاندلس أيام الناصر مع الراهب تقولا وقال عنه أنه طبيب فاضل وأنه يعرف الاغريق (٢) جاء في طبقات الاطباء أن هذين أحمد وعمر سافرا من الاندلس الى المشرق سنة ٣٣٠ هجرية ثم رجعا اليها سنة ٣٥١ واستخلصهما الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر لنفسه

وهما ابنا يونس بن احمد الطبراني الطيب المشهور ، وقد  
اخبّراني ان كتاب ديسقوريدس هذا كان قد ترجمه بدار  
السلام ايام جعفر المشوكل الخليفة للميافى اسطوفن بن يسيل  
المترجم من الاغريق الى العربى ، وتصفحه حنين بن  
اسحاق فصصح الترجمة وأجازها - قال : وقد ورد هذا  
الكتاب الى بلادنا الاندلس ، وهو على ترجمة اسطوفن <sup>(١)</sup>  
وقد قرأناه وصححنا كثيراً من أسماء المفاهيم التي لم يعرف  
لها اسطوفن اسماً فى العربية . وقد انتفع كثير من أهل  
المشرق وأهل الاندلس بالمعروف منه - وفى الاندلس اليوم  
من اخواننا الاطباء نفر نوقروا على هذا الكتاب يصححون  
أسماء عقاقيره ويميّنون اشخاصها ، ومنهم اخونا البسياسى  
والشجار واير عثمان اليابسة ومحمد بن سعيد الطبيب <sup>(٢)</sup> .  
وكانا بسيدنا الناصر ادم الله تأييده وقد ابنى الا ان يقر  
الامر فى نصابه . ويغمد السيف فى قرابه . وبتم امر هذا

---

( ١ ) طبقات الاطباء فى الكلام على ابن جليل

( ٢ ) طبقات الاطباء

الكتاب على ما به : فطلب الى ارمانوس ما طلب ، وكل  
ذلك من سيدنا فضل عناية منه بكل ما يجدى على بلاده  
ويسمو بها صعداً الى ابعد مراتب العظمة الذهنية كما  
أبدت به وبأسلافه في سائر ضروب الحضارة . وذلك لما  
فطره الله عليه من المزية النافذة ، والهمة الطموح البعيدة  
المرمى . فلا يتماظمه امر ، ولا تقف همته دون غاية ، وحتى  
لا يحيك في صدر انسان ان خلفاء بني العباس في المشرق ،  
أو منافسيه الفاطميين في افريقية قد سبقوه الى شيء لم  
يسبقهم هو اليه . وأنت تعلم أن هذه الدول الإسلامية  
الثلاث <sup>(١)</sup> هي اعظم دول الارض اليوم شأناً . واضخمها  
سلطاناً . والقابضة على زمام الامور . والمالكة اخصب  
البلاد من هذا المعمور . والمستبحر عمران بلادها الى اكثر  
من المتوقع المنظور . والتي تعد سائر دول الارض من هذه  
الامم الحمراء كأنها تبع لها وعيال عليها . فتراها لذلك تنهالك

( ١ ) الدولة العباسية والدولة الفاطمية والدولة الأموية

في كل آونة على الازدلاف اليها ، وتستزل رضاها بالهدايا  
والتحف ، وغريب النفائس والطريف ، وتستمرخها بعض  
على بعض فتكون الخنوف ، أسبق <sup>ألى</sup> من المضروب عليهم  
من السيوف

إذا إذا ما ألقانا صارخ كزح

كان الصراخ له فرع القنايب <sup>(١)</sup>

ومن ثم ترى هذه الدول العظمى تقسامي في كل  
ما يكسبها حسن الأثر - وجميل الذكر - وبلا مسامع الدهر  
جداً وثناء ، وينبض له قلب الدنيا خيراً وعلاء ، فتراها لذلك  
أخذة بيد العلم والعلماء ، ماثلة باعطيائها أبدي الشعر  
والشمراء : حتى العلوم الفلسفية بجميع فروغها من الهبة  
وطبيعية ورياضية وطبية وفلكية تعضدها وتقرى القاعين

( ٢ ) البيت لسلاحة بن جندل - يقول : إذا ألقانا مستغيث

كانت اغائته الجدى نصرته يقال قرع لذلك الأمر ظنبره إذا  
جد فيه والظنوب هو طرف المعظم اليابس من الساق - فالشاهر  
جعل قرع الصوت على ساق الخلف في زجر الفرس قرعاً للظنوب

عليها بالاستزادة منها والتقصي في البحث عن غوامضها ،  
وتظهر الرغبة في الحصول على ما أخذها من ملوك الروم  
الذين حشدت في خزائن كتبهم نوايف فلاسفة اليونان  
الاقدمين .

• • •

ولقد افلعت بنا السفينة باسم الله مجراها من ميناء  
مسيني ، وبكرت مع البازي عليه سواد ، في فجر يوم الجمعة  
سَلَخ ربيع الاول ، وذلك ثلاث عشرة ليلة خلت من  
شهر جوتيو الرومي سنة ست وخمسين وتسعمائة من مولد  
السيد المسيح عليه الصلاة والسلام . وكان البحر هادئا ،  
والنسيم فاترا عليلًا ، وكانت فيه فضل ومن معها برأى منا  
ومسمع ، وكان معنا اديب من ادباء صقلية لم نكن ندرى  
أين وجهته ولكنه نزل بعد ذلك في جزيرة ميورقة ، وكان  
قد نذ منه عقيب افلاطنا من مسيني امر افضى الى حديث  
لا علينا اذا نحن اوردناه في هذه الرسالة تطرية للقول ،  
وذلك انا بعد ان صلينا الصبح حاضرة وعلى معنا هذا

الاديب العسقل رأى بناء وقد انتهي ناحية وأخذ بصطبح  
ويلج على ابنة العنب يشربها صرفاً لا يفتلها بالماء. فانكرت  
عليه ذلك انكاراً شديداً وقلت له : ما تصنع بالخمر. وان  
اولها مروان آخرها اسكر ، فقال : لا اقول لك الا ما قال  
الاخطل امير الملك بن مروان اذ قال له عبد الملك مثل قولك  
هذا فقال له الاخطل : ولست بين هاتين لفظة ما ملك  
امير المؤمنين فيها الا كمفظة ماء من الفرات بالاصبع

ثم انشد الاخطل

اذا ما ندبني عاذي ثم عني

ثلاث زجاجات لمن هدبر

خرجت اجر الذيل قبيها كاني

عابك أمير المؤمنين أمير

« وبعد » فله ذلك الطائر الفردوسي البديع الذي كانه

روح هبط على هذه الفراء من المحل الارفع ومنه تلك

المهدية التي لا هدية مثلها ، تلك البذور الثلاث <sup>(١)</sup> التي

---

(١) تشير بذلك الى خرافة جيلة ذكرها المسعودي في كتابه

مروج الذهب وهي أن أحد ملوك الهند الاقدمين كان جالساً  
ذات يوم في قصره واخوته حوله فأخذت عينه طائراً قد أفرخ  
في أعلا قصره ورآه يضرب بجناحيه ويصيح فتأمل الملك ذلك  
فنظر الى حية تنساب الى الوكر صاعدة لأكل فراخ الطائر  
فدعا الملك بقوس فرمى الحية فصرعها وسلمت فراخ الطائر فجاء  
الطائر بعدد هنية يصفق بجناحيه في منقاره حبة وفي مخلابيه  
حبثان وجاء الى الملك وألقى ما كان في منقاره ومخلابيه والملك  
برمقه فوق الحب بين يدي الملك فتأمله وقال ما ألقى هذا الطائر  
ما ألقى الا انه اراد بلا شك مكافأته على فعلته فآخذ الحب  
وجعل يتأمله فلم يعرف مثله في اقلية فقال جليس من جلسائه  
حكيم وقد نظر الى حيرة الملك في الحب أيها الملك ينبغي أن  
يودع للنبات ارحام الارض فانها تخرج منه ما فيه فتقف على  
الغاية منه واداء ما في مخزونه ومكنونه فدعا بالاكرة وامرهم بزرع  
الحب ومراعاته وما يكون منه فزرع فنبت وأقبل يلتف بالشجر  
ثم حصرم وأعذب وهم يرمقونه والملك يراعيه الى أن انتهى في  
البلوغ وهم لا يقدمون على ذوقه خوفاً أن يكون متاعاً غامراً  
الملك بمصر مائه وان يودع في اوان واقراد حب منه وتركه على  
حالته فلما صار في الآتية مصيراً هدر وقذف بالزبد وقاحت له



ما أظنه إلا أنه اختلسها من عنب الجنة لينتحنفها بها فترد رعاها  
وتقرع إلى عصيرها في هذه الحياة المحزونة المغممة آلاما  
روائح عبقرة فقال الملك عن الشيخ فاني به فلدد له من ذلك في إناه  
فرآه لونا عجيبة ومنظراً كاملاً ولونا يافوتياً احمر وشماعاً نيراً ثم  
سقوا الشيخ فاشرب ثلاثاً حتى مال وأرخى من مآزره القصول  
وحرك رأسه ودفع أرجليه فطرب ورفع عقيرته بتغني فقال  
الملك هذا شراب يذهب بالعقل وأخاف أن يكون قاتلاً الا ترى  
إلى الشيخ كيف عاد في حال العصبى وسلطان الدم وقوة الشباب  
ثم أمر الملك به فزيد فسكر الشيخ فنام فقال الملك ذلك ثم  
أن الشيخ افاق وطلب الزيادة من الشراب وقال لقد شربته  
فكشفت عني الغموم وازال عن صاحتي الاحزان والهموم وما  
اراد الطائر الا مكافأتكم بهذا الشراب الشريف فقال الملك هذا  
شراب اشرف أهل الارض وذلك أنه رأى شيخاً قد حسن وقوى  
حيله وانفسق في نفسه وطرب في حال منيحة الحزن وسلطان  
البلغم وجاد هضمه وحاده الدم وصفا لونا واعتزته اريحية فأمر  
الملك أن يمنع العامة من ذلك وقال هذا شراب الملوك وأنا السبب  
فيه فان كان فلا يشربه غيري فاستمع له الملك بقية أيامه ثم نما في  
أيدي الناس واستعملوه

ليسرتي عنا وبجلوا منا سداً الحس . وينفى الهم عن ساحة  
النفس

ان الذي جعل الهموم عقارباً جعل المدام حقيقة درياها

• • •

أقتلا هي بصرف عقار واركا الدهر فما شاء كانا  
إنّ المكره لذعة فم طاذ دمم على اللره هانا

• • •

إذا ما أتت دون اللهاة من الفتى

دعاهه من صدره برحيل

فقلت له ولكنها قبّحها الله نسي من المره أخلاقه .

وتخمل التابه ، ونرفعه الى اسفل ، وسهوى بالشرف الرفيع

الى الحضيض الا وهه . وفي ذلك القرشي حين يقول

من تفرغ الكأس اللثيمة منه

فلا بد يوماً أن يسيء ويجهل

ولم أر مطلوباً أحسن غنيمة

واوضع للانشراف منها واخلا

فسرعان ما أنشد

إذا صدمتني الكأس أبدت محاسني

ولم يخش ندماني أذاني ولا بخلي

ولست بفحاش عليه وإن أسا

وما شكل من آذى نداماه من شكل

ثم قال : والخمر لذلك خليفة إن لا يشربها إلا الملوك  
وأشباه الملوك ، أما السرفة والحشو والذوغاء والحفى ومن  
اليهم فيجب أن يُعسَلَبُوا أو يُقَتَّلُوا أو تُقَطَّعَ أيديهم  
وأرجلهم إذا هم شربوها

والخمر قد يشربها معشر ليسوا إذا وعدوا بأكفائها

...

وجدت أقل الناس عقلا إذا انشئ

أقلهم عقلا إذا كان صاحبيا

زيد حميياها السفية سفاهة

ومترك اخلاق الكريم كما هيا

ويودى لو أن الكأس بألف والخير في وجه الاسد

حتى لا يشرب الا كريم ، ولا ينكح الا شجاع  
اجل عن اللثام الراح حتى كأن الراح تعصر من عظامي  
ورحم الله أبا بكر الهذلي اذ يقول للمنصور وقد سأله  
عن النبيذ : لقد تعادت فيه السفهاء ، حتى كرهته المماء  
فقلت له أما نخشى الله يوم الحساب . فقال

إذا صليت خسا كل يوم فإن الله يغفر لي فسوفي  
ولم أشرك رب الناس شيئا فقد امسكت بالدين الوثيق  
فهذا الدين ليس به خفاء دعوني من بنيات الطريق

• • •

الا لا يفرئك ذو سجدة يظل بها دائما بخدم  
وما للتقى لزمت وجهه ولكن اباني مستودع  
ثلاثون الفا حواها السجود فليست الى ربها ترجع  
ورد اخو الكاس ما عنده وما كنت في رده اطمع

• • •

اما النبيذ فلا يدعرك شارب  
واحفظ ثيابك ممن يشرب الماء

فوم يداوون عما في نفوسهم  
حتى اذا استمكنوا كانوا هم الداء  
مشمرين الى انصاف سوقهم  
هم الذئاب وقد يدعون قراء

فقال أبو عبيد الله الفيلسوف : الشراب ضار ونافع ، اما  
انه نافع فليبدن بأشرفه وتقوية الحرارة القربزية وانما شها  
وانضاج الرطوبات وتنقيح المجاري وإزالة سدها وتقوية  
الهضم وانهارة الدم وادراز الصفراء وترطيبها - وللنفس  
بانيساطها وتفتيح آفاقها وتشجيعها وقتل الهم والفكر الفاسد  
ومن ثم كان أنفع الأشياء للمالبغولياتم هو يؤدم بين  
القلب والقلب - ويبعث الشوق القديم الذي قد ضل في  
الاحتشاء - وكل أولئك اذا استعمل على الوجه الذي ينبغي  
والا استحال هذه المنافع مضار : فترى عوض السرور هما  
وغما وضجراً وسوء خلق ، وعوض الصحة مرضاً مزمناً  
أو موتاً فجائياً ، وإن ادامة الشراب تبلى الذهن وترخي  
المصب وتوهن قوى الدماغ وتورث الرعشة والتشنج ،

وقد أجمع الحكماء قاطبة على أن مدمن الخمر لا ينبغي وأن  
النجب كان الولد أحق

« وبعد » فإن أصدق ما جاء في الخمر قول الله جل  
شأنه : يسألونك عن الخمر والبسر قل فهما إنهم كبير ومنافع  
للناس . وإنهما أكبر من نفعهما ثم يقول سبحانه يصف  
خمر الجنة « لا فيها كغول »<sup>(١)</sup> ولا هم عنها ينزفون « فكان  
السرف في خمرهما هو أنها تقتال عقولنا ونفسها ونورثها  
الخبيل والصداع كما قال الأول

وما زالت الخمر نقتالنا وتذهب بالأول الأول  
وما ألطف قول بعض الظرفاء وقد ترك النبيذ فقيل

(١) الثور الصداع والخمر، ولا ينزفون يسكرون وتذهب  
عقولهم ، والانهم في قوله جل شأنه وإنهما أكبر من نفعهما فهو  
ما يترتب على افتراق الذنوب والمعاصي من المضار قال أبو نواس  
ولقد نهزت مع الغواة بدوهم

واسمت سرح اللهو حيث أساموا

وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه

فإذا عصارة كل ذلك أنام

له كيف تركه وهو رسول السرور الى القلب فقال نعم  
وايكنه بئس الرسول يُبعث إلى القلب فيذهب إلى الرأس  
ويشبه ذلك قول المجنون لملك من الملوك وقد استظرفه  
واختار أن يكون نديماً له وعرض عليه الشراب فقال المجنون  
أيها الملك أنت تشرب هذا لتصير مثلي وأنا أشربه لأصير  
مثل من ؛ وقال عبد المزيتر بن مروان أنصت يا شاعر يوماً  
هل لك فيما يُبشّر المحادثة - يريد المتابعة - قال أصلح الله  
الأمير الشمس مفلعل واللون مرمم ولم أقعد اليك بكرم  
عنصر ولا يحسن منظر وانما هو عقلي ولساني فان رأيت  
ألا تفرق بينهما فافعل . وقيل لا عرابي لم لا تشرب ؛ فقال  
لا أشرب ما يشرب عقلي

وناهيكم بعمد ذلك بما يستتبعه ادمان الشراب من  
الصد عن ذكر الله وعن الصلاة . ومن السكر والمريضة ،  
وإيقاع العداوة والبغضاء والموجدة . ومن تقبيح الحسن  
وتحسين القبيح وانغرائه بالقسوق وتمدى حدود الله وقلة  
الاكثراث لها - وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ

يقول : لا يشرب الشارب حين يشرب وهو مؤمن : واقد  
مرت اعراية يقوم يشربون نبيذا فحقتوها فلما شربت  
أقداحاً اعترتها أريحية فقالت أيشرب هذا نساؤكم قالوا نعم  
قالت إذ أن زئين ورب الحكمة فابدرى أحدكم من أبوه ؟

• • •

ولا تصحاب الشراب ولوع به واستهتار الى الحد الذي  
لا يفكرون معه في دين ولا مروءة . قيل لأبي نواس  
اتشرب الخمر قال نعم : اذا اشترى ثمن خنزير قد سرق  
حتى يحرم ثلاث مرات وهو القائل

الا تأسفني خمرأ وفل لي هي الخمر

ولا تأسفني سرأ اذا امكن الجهر

فما القين الا أنت ترائي صاحباً

وما الغنم الا أن يتعقني السكر

وقيل لثمالة لم تشرب الخمر وهي تزيل العقل فقال ان  
زال اليوم لا يزول غداً . وباع بعض الاشراف من اصحاب  
للشراب صنبة فقيل له احضر العشيبة للاشهاد فقال لو



كنت ممن يهتان بالمشيات لما تمت الغنيمة . وقال رجل  
لا آخر منها فقد وجهت اليك رسولا عشية أمس فلم يجدك  
فقال هذا وقت لا أكاد أجد فيه نفسي . ويقول أحدكم  
وددت أني أكون بموضة فأموت تحت قرية نبيذ حتى يكون  
موني في ظلال نعيم . ولما ولي الحسن بن زيد رضي الله عنه  
المدينة قال لابن هرمة الشاعر : لست كمن باع دينه وجاء  
مدحك أو خوف ذمك فقد رزقني الله بولادة نبيه صلى الله  
عليه وسلم المادح وجنبتني المقام . وإن من حقه على أن  
لا أغضى على تقصير في حق ربه وأما أقسم لمن أثبت بك  
سكران لأضرب بك حدا للخمر وحد للسكر . ولا زبدن  
لموضع حرمتك بي فليكن ركك ذلك لله نعمن عليها ولا  
تدعها للناس فتوكل بهم فقال ابن هرمة .

نهاني ابن الرسول عن المدام	وأدبني بأداب الكرام
وقال لي اصطبر عنها ودعها	تلخوف الله لا خوف الأنام
وكيف نصبري عنها وحيي	لها حب تمكّن في عظامي
أرى طيب الحلال على خبيثا	وطيب النفس في خبيث المرام

وقيل لرحل من أصحاب الشراب ما تقول في الماء فقال  
هو الحياة ويشركني فيه الحمار . فقيل له فالله قال ما رأيته  
الا ذكرت أمي واستحييت قيل فالحر قال تلك السارة  
الباردة شراب أهل الجنة . ودعا الوليد بن يزيد شراعة من  
الكوفة وهو من فتيانها فلما قدم عليه قال له اني والله لم  
أدعك لا سألك عن قرآن أو لأستغثيك في سنة فقال لو  
سألتني عنها لأصبتني فيها ثورا . فلم دعوتني قال لا سألك  
عن الفتوة فقال انا دهقانها الخبير وعالمها الضبيب فسل  
فقال ما تقول في بيذ التمر ، قال اشربه حتى تحمر ، قال فنبذ  
الذن ، قال اشربه حتى تنجن ، قال فالدأى قال احلى من الماذى  
قال فنبذ الزبيب فستر وجهه وقال العظمة لله ، قال فالحر  
قال لا أرى شربها قال ولم قال لاني لا أؤدى شكرها

وهذا قليل من كثير ورحم الله من قال

لم يبلغ الشيخ ابليس اراده

حتى تكاثف في عنقوده العنب

وفي الحق ما يقول ابليس : مهما ابجرتني ابن آدم فلن

بمعزنى اذا سكر أن آخذ بزمامه فاقوده حيث اشاء واحمله  
على ما اريد

• • •

ولربما بلغت جنابة الشراب وادمانه . إلى ما بأنف  
الحيوان الاعجم من اتيانه . رووا ان عيسى بن عاصم احد  
أشراف العرب فى الجاهلية كان يتردد عليه تاجر خمر فيبتاع  
منه ويقيم الخمر فى جواره حتى يتفد ما عنده فشرب عيسى  
ذات يوم فسكر سكرأ فبيحا لجذب ابنته وتناول ثوبها  
ونظر الى القمر وتكلم بشيء ثم انتهب مال الخمار وأنشأ  
يقول :

من تاجر فاجر جاء الاله به  
كان لحبسه اذئاب اجال  
جاء الخبيث ببسائرية نوكت  
صحبي وأهلى بلا عقل ولا مال  
فلما صحا أخبر بما قال وما صنع قال ان لا يذوق خمرأ  
أبد الدهر

\*\*\*

والسكارى فعال تضحك وتبكي، فمن ذلك أن سكرانا  
وقع على الأرض فجاء كلب يلحس فاد فجعل يقول  
اخوكم ومولاكم وصاحبكم

ومن قد نشأ فيكم وعاشركم دهرًا

وقال بمضج كان في دارنا سكران فعمد على مصلي  
فتبرز فيه فأخذت بيده إلى المستراح فنام فيه فقالت جاريتي  
يا عجبا كل شيء منه مقلوب يتبرز حيث ينام الناس وينام  
حيث يتبرز الناس . وإن صاحب السكر يصير أما إلى فردية  
وهو الذي يضحك ويرقص ويحكى . لو إلى كلية وهو الذي  
يهادش، أو إلى خنزيرية وهو الذي يغمى ويتبرز ويتلوث فيها .  
ومن هنا كانت الخمر حميضة لا تشفق والمُرودة والعزة  
والكرامة . ولا تجتمع والشرف في عهد واحد

\*\*\*

ومن خصائص الخمر أنها تخترق الكف وتورث  
للسخاء الكاذب حتى

نرى الماخذ الشحيح اذا امرت

عائيه لئلا فيها مهينا

وكما نكر الشراب، نكرر التخرق في الكرم والسخاء

فيفضى ذلك على مراءى الالباء الى الفقر والفقلاكة والسقاء، ويهم

ذلك زوج الشارب وولده وكلامه يقول: ومن هذه وحدها

لجربة لا تغفر، ولو لم يكن كذا صاحب الشراب زاجر

غيرها لكان حرمي أن يقام عنها

\*\*\*

وقد عرف اصحاب الشراب سوء العهد وفلة الحفاظ

وانهم اصدفوا لك ما استغنيت حتى تفقر، وما عرفت حتى

تفك، وما غلت دنانك حتى ترف، وما رأوك بميوهم

حتى يفقدوك

ارى كل قوم يحفظون حريمهم

وليس لاصحاب النبيذ حريم

اخاؤهم ما دارت الكأس بينهم

وكلهم رت الخيال سؤم

إذا جثتهم حيوك ألفا ورحبوا  
وان غبت عنهم ساعة فذمهم  
فهذا تنائي لم أقل بجهالة  
واسكتني بالفاسقين عليم

\*\*\*

وقد تبلغ الحُر بصاحبها إلى أن تشوه خلقه فترى  
مدمنها يوما وقد عظم آثمه واحمر وتورم كما يقول شاعر في  
حماد الراوية

نعم الفنى لو كان يعرف ربه  
ويقيم وقت صلاته حماد  
هدأت مشافره الدنان قائفه  
مثل القدوم يسنها الحداد  
وابيض من شرب الدامة وجهه  
فبياضه يوم الحساب سواد

\*\*\*

أخو الشراب ضائع الصلاة  
وضائع الحرمه والحاجات  
وحاه من أفسح الحالات  
في نفسه والعرس والبهشات  
أف له أف ألي آفات  
خمسة آلاف مؤلفات

\*\*\*

وجلة القول ليس بمد قول لقد جل شأنه وأنهما أكبر  
من نفعهما بحال آتائنا والسلام على من اتبع الهدى

\*\*\*

وآء لي ذلك إذ اندفعت فضل المدينة تغنى على عودها  
هذه الأبيات

بيد الذي شغف الفؤاد بكم  
تفرج ما ألقى من الهم  
فاستبقني أن قد كلفت بكم  
ثم افعل ما شئت عن علم

قد كان صرم في المات لنا

فمجلت قبل الموت بالصرم

فاستخف غذاؤها ابا عبد الله حتى كاد أن يخرج

من جلده فرحا . وتحرك الراحب واهتز ثم غمغم كلمات

ترجمها اليها ابو عبد الله بما يقارب قول الطائي حبيب

بن أوس

ولم افهم معانيها ولكن ورت قلبي فلم اجهل شعباها

فصرت كأنني اعمى ممي بحس العانيات ولا يراها

ثم اندفعت نفى

آها على بغدادها وعراقها

وخلابها والسحر من احداها

ومجالها عند القرات بأوجه

نبذوا اهلها على اطوافها

متبخترات في النعيم كأنما

خلق الهوى المذرى من اخلافها



نفسى الفداء لها فأتى خامس

فى الدهر تشرق من منى اشرقها (١)

فأخذ الملح ينشج أشيجا حارا ويبكى بكاء عائلا حتى  
إذا سكنت عنه البكاء قل ما ممتاد . لقد هاجت لى داء  
دفيننا : ثم سكنت وسكنت فذل وسكتنا ومضت  
السفينة إطينها

• • •

وكان سيرنا فى محاذاة الساحل بحيث نبصره رأى  
الدين . وسرنا نسرح النظر فى عمار وقرى متصلة . وحصون  
ومماقل فى ظل الجبال معدلة . وقد أرسل الله إلينا وبخاطبة  
رخاء زوجت السفينة زجوة طيبة ، فكانت تلك الساعة من  
الطيب ما يظفر به السفير (٢) ، فى هذا البحر . وما زلتا فى

---

( ١ ) الأبيات لأمدي الجوارى اللاتى اشترين من المشرق

لأحد امرأه الأندلس وأصحها قر ذكرها صاحب تفع الطبيب

( ٢ ) المسافرون

انتم حال واطيبيها حتى استقام ميزان النهار وقام قائم الظهيرة  
واذ ذاك ابصرنا عن يميننا سبع جزائر متجاورات آنسنا فيها  
دخانا يتصاعد من جيلين في جزيرتين من هذه الجزائر ،  
فرايت بعض المسافرين وقد ضربوا بأذقانهم الارض ، لما ألم  
بهم من الذعر ، فقال ابو عبيد الله الصقلي لا عليكم أيها  
الاخوان ، ولا تكونن قلوبكم كقلوب الطير ، تنمات<sup>(١)</sup>  
كما ينمات الملح في الماء ، ان هذه البراكين مأمونة الناحية .  
وليست ترقر في النهار الا هذا السخايف الذي نرون ،  
أما البركان المخوف فهو ذلك الرابض في الجزيرة الكبرى  
« صقلية » وقد اتمدنا عنه والجدد له : وهنا سألني بعض  
القادمين من المشرق الامانة في وصف هذه البراكين وسر  
تلك الفظائع التي تتوارد اخبارها الى المشرق ، فاخذ  
ابو عبيد الله يفيض في القول على طريقته الفلسفية ، ولا بأس  
اذا نحن اتفقنا هنا زبدة قوله اعلمنا للفائدة

\*\*\*

## البراكين في صقلية

والجزائر المجاورة لها

وما قاله فلاسفة الاسلام في ذلك

قال ابو عبد الله ما ملخصه : من المعلوم الذي لا خفاء به ان هذه الكرة الارضية السابحة في الفضاء <sup>(١)</sup> يحملها واجزائها ظاهرها وباطنها طبقات. ساف فوق ساف. مختلفة التركيب والخلقة ، فمنها صخور وجبال صلبة ، واحجار وجماميد صلبة ، ورمال جربشة ، وطين رخو ، وتراب لين وسباح وشورج ، بعضها مختلط ببعض ، أو متجاورة كما قال الله جل شأنه : وفي الارض قطع متجاورات : وهي مختلفة الالوان والطعوم والروائح ، فمن ترابها واحجارها واجبالها حمر وبيض وسود وخضر وذررق وصفر كما قال جل ثناؤه : ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها

---

( ١ ) احوان الصفاء - ومن ذلك تعلم ان العرب سبقوا غيرهم

الى القول بكروية الارض وانها سابحة في الفضاء

وغرايب سود : وهي مع ذلك كثيرة التخلخل والنقب  
والتجاويف والعروق والجداول والانهار داخلها وخارجها ،  
كثيرة الاهوية والمخارات والكهوف ، وفيها من انواع المعادن  
السائلة والجامدة ما لا يحصى كثرة ، وهذه الاهوية والامواه  
اذا هي جوف الارض بتأثير الشمس فيه كتأثير القمر في  
مد البحر وجزره سخنت تلك الامواه والطفت ونحلت  
وصارت بخاراً وارتفعت وطلبت مكاناً اوسع ، فان نكس  
الارض كثيرة التخلخل نحلت وخرجت تلك البخارات  
من تلك النوافذ ، وان يكن ظاهر الارض شديد التكاثف  
حصيفاً منها من الخروج وبقيت محتبسة تخرج في تلك  
الاهوية لطلب الخروج ، وربما انشفت الارض في موضع  
منها وخرجت تلك الرياح مفاجأة وانخسف مكانها ويسمى  
لها دوى وهذه زلزلة ، وان لم تجد لها مخرجاً بقيت هناك  
محتبسة ، وتندوم تلك الزلزلة الى أن يبرد جو تلك المخارات  
والاهوية وينلفظ وتتكاثف تلك البخارات وتجتمع اجزاؤها  
وتستعمل الى ماء وتخرج راجعة الى قاع تلك الكهوف

والمقارات . ونمكث زماناً ، وكلما طال وفوقها ازدادت صفاء  
وعظماً حتى تصير زئبقاً رجزاً ، وتختلط بترية تلك المادن  
وتتحد بها ، وقد تستحيل الى كبريت أو تفتأ أو غيرها حسب  
اختلاف رب البقاع ، فيكون من ذلك ضروب من الجواهر  
المعدنية المختلفة الطوائع — قلنا أن في الجبال جبلاً وفي  
الأرض أرضين يحوقها كهوف ومقارات وأهوية حارة  
ملتهبة . فهذه الكهوف قد تجري اليها مياه كبريتية أو  
نقطية دهنية فتكون مادة لها دائماً — ماذا اختفت هذه  
المواد بفعل الحرارة ذهبت مُصعداً نطلب الخلاص —  
فقد تكون هذه المواد دخاناً صرفة كما هي حال هذين  
البركانين في هاتين الجزيرتين ، وهذا الدخان يخرج بقوة  
شديدة حتى أنه يقذف فيه الحجر الكبير فترده ردافوا  
وقد تكون هذه المواد أحجاراً محترقة ومواد أخرى كبريتية  
ونقطية نارية تخرج كالسيل العرم فلا تترك شيئاً إلا احرقته  
كما يكون من جبل النار التي في الجزيرة نفسها ، وترى  
هذا الجبل يرمى فيها يرمي بحجر كبير كاعدال القطن يقطع

بعضه في البر فيصير حجراً أبيض خفيفاً يطفو على وجه الماء تلفته ، والذي يقع في البحر يصير حجراً اسود متقباً تحك به الارجل في الحمامات ، وهو كذلك تلفته يطفو على الماء ، ومن غريب الامر انه اذا وقع هذا الحجر على حجر احترق ذلك الحجر واشتعل كما يشتعل القطن حتى يصير ذلك الحجر غباراً كالسكر ، أما الحشيش وسائر ضروب النبات فلا تحترق ، ولا يحترق الا الحجارة والحيوان ، فكانها نار جهنم التي وقودها الناس والحجارة <sup>(١)</sup>

هذا ويسمى الاهالي عندما أحد البركانين الموجودين في هاتين الجزيرتين بركانا ، ويسمون الآخرة استنبري ومعنى بركان واستنبري فيها علت الرعد والبرق <sup>(٢)</sup>

وقد لاحظت أن معادن الكبريت الاصفر لا توجد في الاعم الاغلب الا بجانب البراكين ، ففي هاتين الجزيرتين معدن كبريت لا يوجد مثله بموضع آخر ، رأيت ورايت القطاع الذين يقتطعون به رأيتهم وقد غرطت

( ١ ) تحفة الالباب ( ٩ ) تقوم البلدان لابي القداء

شمورهم ونصلت أظفارهم من حره ويدسه ، وهم يذكرون  
أنهم يجدونه في بعض الأيام سائلا متعصبا فيتخذون له في  
الأرض مواضع يجتمع فيها ثم يجدونه في غير ذلك الأوان  
قد تحجر فيقطمونه بالماء أول ، وكذلك ترى بجانب جبل النار  
الذي في الجزيرة نفسها آبار زيت النفط الذي لا يخرج منها  
إلا في وقت معلوم من السنة - في شهر شباط وشهرين  
بمده - فترام في ذلك الوقت ينزلون في هذه الآبار على  
درك ويخمر الرجل الذي ينزل فيه رأسه ويسد مسام أنفه  
( منخريه ) وانف تنفس في أسفل البئر هلك لساعته ،  
وما يستخرجونه من هذا الزيت يضعونه في أواني فيحلو  
الدهن منه وهو المستعمل ، وذلك كله مما يدل على طيبة  
هذه الأرض القريبة الشأن ، وقته في خلقه شئون ، سبحانه  
مالك الملك لا اله غيره .

## مدينة بلرم

حضرة جريزة صقلية

واقائي أميرها أبا الحسين أحمد

كان وصولنا الى مدينة بلرم بعد انفصالنا من مدينة  
 مسيني ببومين كاملين ، وكان تعريجنا عليها دون قصد منا  
 اليه ، إذ كانت الريح غير موافقة في ذلك اليوم وهو يوم  
 الاحد الخامس عشر من شهر جونيو الروي سنة ست  
 وخمسين وتسماية من مولد السيد المسيح ، فاضطررنا أن  
 نقيم في هذه المدينة حيث أتت تأتي الريح الموافقة ، ولقد  
 اهتمت هذه الفرصة فجلت في المدينة جولة وقفت فيها  
 على أشياء كان لا بد من اجتلائها . وقد أسعدني الحظ  
 فقابلت أميرها من قبل المعز لدين الله الفاطمي أبا الحسين  
 أحمد بن أبي الحسن الكلبي وجرى بيني وبينه حديث  
 سأذكره لك بعد أن أتى على وصف هذه المدينة  
 ان شاء الله



مدينة بدم هي حضرة جزيرة مدنية . ففيها يقم الوالي  
الذي يوايه الفاطمي وفيها قاضي القضاة ودوان الحسبة .  
ودار الصناعة ، وفي مينائها برص اسطوار لها الاعظم . ومنها  
يغزو ويروح مختالا على ثبج هذا البحر فيغزو ما شاء أن  
يقزو من جزائره وعدونه الشمالية - جنوب اوربا -  
وهي لذلك كله وبفضل ما أحدثه المسلمون فيها من ضروب  
العمران تراها من أجل المدن وأنعم . فهي بهذه الجزيرة  
أم الحضارة . والجامعة بين الحسين غضارة ونضارة .  
فأشئت فيها من جمال مخبر ومنظر ، ومراد عيش يافع  
أخضر . تطالع لك أي فتان ، وتفخاين بين ساحات وبساط  
كلها بستان . فسيحة السكك والشوارع ، تروق الابصار  
بمحسن منظرها البارع ، مانيها كلها بمجوت الحجر المعروف  
بالكذان<sup>(١)</sup> يشقها نهر ينساب فيها مثل الحية المذعور .  
أو السيف المشهور ، ويطرد في جنباتها أربع عيون زاخرة  
عليها أرحاء كثيرة لا تحصى

(١) رجة ابن جبر

بلد اعارته الحمامة طوقها  
وكساء حلة ريشة الطاوس  
وكأنما الأنهار في ساحاتها  
خمر وكان ساحات الديار كخوس<sup>(١)</sup>

وهي تنقسم الى خمسة أقسام محدودة متباينة متجاورة  
فقسم هو المدينة الكبرى التي تسمى بلم، ويسكنها  
التجار، وفيها المسجد الجامع الذي كان في القديم بيعة للروم  
وهو الآن لبديع ما فيه من العنمة والفرائب المبشكرة من  
ضروب التصاوير وصنوف التزاويق<sup>(٢)</sup> التي ابدعها المسلمون  
فيه بعد من أعجب عجائب الدنيا<sup>(٣)</sup> للنامة عن حذق العرب  
ومهارتهم في الصناعة الى الحد الذي لا وراه، وفي هذه  
المدينة وفي أقسامها الاخرى نيف وثلاثمائة مسجد<sup>(٤)</sup> ولم  
أر مثل هذا العدد في بلد من البلدان، ومن غريب الامر

---

(١) ابن البانة الشاعر الاندلسي (٢) الادريسي (٣) ذكر  
هذا الجامع بما لا يخرج عما ذكرناه نحن كل من الادريسي  
وابن حوقل (٤) ابن حوقل

اننى كنت واقفا في جوار دار أحد الفقهاء الاعيان في هذه  
المدينة وهو ابو محمد القفصى الوثائقى فبصرت قريبا من  
مسجده على مقدار رمية سهم عشرة مساجد، ومنها  
المسجد تجاه المسجد لا يفصلهما الا الطريق، وأغرب من  
ذلك أن من بين هذه العشرة المساجد، والى نحو عشرين  
خطوة من مسجد الفقيه القفصى المذكور مسجداً لاجنه  
ابتناه ليتفقه فيه، منزلا عن أبيه<sup>(١)</sup>، وهذا عمرك الله  
بما يستشف الناظر من ودائه ابهة للقوم واعتزازهم بسلطانهم  
وانهم سادة هذه البلاد، ولا جرم كان ذلك باعثا لهم على  
التنافس في الفاخر والمكارم وسائر خلال الخير والكمال،  
وهو معنى من المعاني التى يستقيمها الملك والملك والسلطان<sup>(٢)</sup>  
أما القسم الثانى من أقسام بلرم فهو المعروف بالخالصة،  
وهو مقام الوالى وأتباعه، وليس فيه اسواق ولا فنادق،  
وبه حمامان، وفيه مسجد جامع مقتصر صغير، وفيه حيس  
الوالى ودار صناعة البحر والديوان - - والاقسام الاخرى

---

(١) ابن حوقل (٧) ابن خلدون في مقدمته

الثلاثة ، فنقسم بمرف بحارة الصقالية ، وهذا القسم أعمر  
من القسمين السابقين وأنجل ومرسى البحر به ، وآخر  
يسمى حارة المسعد وثالث يسميه القوم الحارة الجديدة .  
وأكثر الاسواق في هذا القسم كسوق الزياتين والصبارة  
والصبادلة والخرازين والعمياقلة والنحاسين وسوق القمع  
وسائر الصنائع على اختلافها . وفي هذه الحارة الجديدة  
نحو من خمسين ومائة خانة لبيع اللحم . وهذا مما يدل على  
استبحار العمران في هذه الجزيرة ورخاء أهلها وكثرة  
عبيدهم . فـيجازي المرء من يشاء

\*\*\*

واقعد حمدي الفقيه الوثائقي حديثاً بجملتنا ان نجله  
لك الآن قال<sup>(١)</sup> : ان المسلمين لما فتحوا هذه الجزيرة ،

(١) هذا الحديث من اوله الى آخره اعماهر من تأليفنا المفضل  
ومعنى وكل ما هذا لك انا اعتمدنا في عصارته التاريخية على ما ترجمه  
لنا احد اسدقائنا من كتاب حصار العرب لجوستاف لوبون  
خاصا بصقنية

وبلاد فلورية<sup>(۱)</sup>، من بر الارض الكبيرة<sup>(۲)</sup> واستوثق  
لهم الأمر، ومدت لهم امر الفرنجة يد الادعان، أخذوا  
حسب عادتهم في كل بلاد يفتحونها بنية لاقامة فيها،  
واصلاح حال اهلها، في ان يستنفذوا هذه البلاد من تلك  
الحياة المتننة التي كانت مرتفعة فيها أيام حكم الروم، فاشعروا  
في البلاد الوية العدل، وعمدوا الى الزراعة فانتعشت بعد  
مرضاها. والى التجارة فهبت من رقدتها، والى الصناعة  
فانتاشوها من وهنتها، ووثب الاهلون وثبة كانوا أنشطوا  
من عقال، فكثرت الاموال، وانعدودت الخيرات الى  
الحدا الاقصى، وافتن الناس اقتناهم في ضروب الترف  
والنعم واتساع العيش والتأنق فيه والتلون بأزهي الوانه. -  
قال الفقيه: أما عدل المسلمين فانك اتجد نصارى هذه  
البلاد لا يكاد المسلمون يجاوزون عنهم بشيء: فالجميع  
يرتعون متبجحين متحابين، وكل متمتع بعيشته وعقيدته

(۱) كلابرية جنوب ايطاليا (۲) أوروبا

وطوقه فلنصارى كنائسهم كما ان للمسلمين مساجدهم ،  
 واذا جاء عيد من الاعياد رأيت أعلام النصارى بجانب  
 أعلام المسلمين : أما علم النصارى فقد صور فيه صليب  
 مذهب في بهرة ساحة حمراء ، وعلم المسلمين قد رسم فيه  
 حصن اسود في ساحة خضراء <sup>(١)</sup> أما نساؤهم فربما رأيتهن  
 لليوم «الاحد» وهن ذاهبات الى الكنائس ، وقد تشبهن  
 بنساء المسلمين ، لان المذلوب كما تعلم مولع دائماً بتقليد  
 الغالب ، فانتقبن بالنقب الملوثة ، واتملن الاخفاف المذهبة  
 ولبسن الحرير الموشى بالذهب ، والتحفن اللحف الرائقة ،  
 وتزين بكل ما يزين به المسلمات <sup>(٢)</sup>

ان من يدخل الكنيسة يوما

يلق فيها جاذرا وظيما

وليس يطلب من النصارى سوى تلك الاناوة النافهة  
 المفروسة عليهم لقاء قومة السلطان على الرعية ، وهي ديناران

( ١ ) حضارة العرب للدكتور جوستاف لوبون

( ٢ ) ابن جبير

يؤديها عنهم . ودينار واحد يؤديه صناعم وارباب  
الحرف منهم . أما النساء والاطفال فليس شيء بمفروض  
عليهم <sup>(١)</sup> وهم يقرون بانهم لم يذوقوا طعم هذا العيش  
الاخضر الا على عهد المسلمين وأما الزراعة فقد شفقنا  
الانهار، واحتفرنا الجداول - واقتنا عليها القناطر الحاجزة <sup>(٢)</sup>  
واحيينا الارض الغامرة - فأخصبت ودرت وربت ،  
واخذت زخرفها وازينت ، وجلبنا الى هنا كثيراً من  
الاشجار والازهار وضروب النبات التي لم يكن ليعرفها  
اهل البلاد الاصليون مثل القطر والقصب وشجر  
الزيتون <sup>(٣)</sup> والبردي <sup>(٤)</sup> الذي لا يوجد الا في مصر وكثير  
غير ذلك

وأما الصناعة فقد خطت بفضل المسلمين خطوات

(١) جوستاف لوبون (٢) قال الدكتور لوبون ان  
العرب هم الذين حفروا الترع التي لا تزال باقية الى الان وهم  
الذين اخترعوا الاهوسة ذوات الحواجز وكانت قبلهم مجهولة  
(٣) جوستاف لوبون (٤) ابن حوقل

بمدينة الهندى فاستقرت دوشن لأرض ومعادنها من الفضة  
والنحاس والرخم والحديد ، ومن المسمون في ضروب  
الصناعات التى الآء ان ، فحذقوا صنع الحرير والصباغة  
وما اليها <sup>(١)</sup> وكذلك نراه قد برعوا وازدهروا وتقدموا في  
سائر العلوم الصناعية تارة الادبية والدينية والفلسفية حتى  
أن القرنية لانهم هم من براعة المسلمين فمما لم يفرغوا  
بالسحر <sup>(٢)</sup> وما هو عمرك الله بالسحر. ان هو الا نسبهم

( ١ ) قال الدكتور لوبون : ان العرب هم الذين أدخلوا في  
البلاد صناعة الحرير وان في نورمبرج رداء من الحرير مما كان  
يلبسه امراء صقلية عليه كتابة بحروف كوفية ، قال : وكل شيء  
يبحث على الاعتقاد ان صناعة صباغة الاقشة انما انتشرت في  
اوروبا من صقلية ( ٢ ) اورد الدكتور لوبون هذه الحكاية  
بعد ان ذكر ان الرهسان كانوا يفسبون مخترعات العرب الى السحر  
قال : في احدى حملات النورماندين الذين طرأوا على صقلية في  
اواخر ايام العرب في صقلية استكشف الكونت روبرت ويسكره  
مختالا قائما على حمود رخام متوجاً بدائرة من البرنز محفور عليها  
هذه الكلمات : سيكون لي في اول مايو عند طلوع الشمس تاج



ذروة الكمال ، وهوى هذه الأمم الحمراء الى الحضيض  
الاولهـد

والنجم نستصغر الابصار صورته

والذنب للظرف لا للنجم في الصغر

وأما التجارة فلعلك قد شاهدت كثرة السلع والبضائع  
المجربة الى هذه البلاد ، والحوانيت والمتاجر المتكاثرة في  
شوارع البلد ، وكذلك عمالك قد أبصرت الحركة المباركة في  
مينائنا وعمال المكوس فيها مما تتحقق منه أن الجزيرة قد

---

ذهبي » فلم يدرك احد منزى هذه الكلمات غير ان عربيا من  
صقلية كان اسيراً لدى الكونت افهم روبرت انه يدرك معناها  
الخفي وانه اذا وعده اطلاق سراحه فسرّها له فلما وعده روبرت  
نصح له الامراي ان يجهر في أول مايو عند طلوع الشمس في  
المسكان الذي ينتهي اليه ظل التمثال ففعل الكونت ذلك فوجد  
كثراً هائلاً لا تقدر قيمته .

شأننا وأيميداً في التجارة بفضل نشاط المسلمين وأقدامهم  
وبعد منهم ، وكل ذلك بما أثر فيهم روح هذا الدين القويم  
وآدابه الالهية .



## لقائي الأمير أبا الحسين أحمد

ابن أبي الحسن الكلبي

والي جزيرة صقلية

أني جالس مع الفقيه الوثائقي في مسجده بعد أن تقدمنا  
وصلينا صلاة الظهر ثم أخذنا بأطراف الأحاديث بينما إذ  
دخل علينا المسجد خادم من قبل الأمير ، فذعر الفقيه عند  
ما أخذت عينه هذا الخادم ، فذعرت لذعره ، ثم قال الخادم  
أن الأمير يدعوك الساعة اليه ومعه منيفك المصري ،  
فقلت للفقيه أنكم ما يخاف منه فأفرخ روعي <sup>(١)</sup> وقال الآن  
لا أظن تمت شيئا أكثر من رغبة الأمير في أن يستطلع  
منك مطلع مصر والمصريين ، وأميرنا حفظه الله من خواص  
أهل الأدب وعلميتهم ، وأنه لنو حظ عظيم من رجاحة  
العقل وسجاجة الخلق بحب الأدياء ويقربهم اليه ويتحدث  
مهم كما يتحدث النظير مع النظير ، على أن اليوم في صقلية  
كأنه عيد من أعياد الأهلين ، إذ كان قد ورد من أيام علي

---

(١) أذهب خوفي

الامير كتاب من أمير المؤمنين المعز لدين الله يأمر الامير  
فيه باحصاء اطفال الجزيرة وأن يحتنهم ويكسومهم وبحبوم  
بالمطايا في اليوم الذي يحتن فيه ولد أمير المؤمنين ، فكتب  
الامير خمسة عشر ألف طفل ثم اختن ولده واخوته وقد  
أمر اليوم باختنان سائر اطفال الجزيرة وخلع عليهم وفرق  
فيهم مائة ألف درهم وخمسين حملا من الصلات وردت عليه  
من أمير المؤمنين <sup>(١)</sup> فكيف نتوقع شرأ من الامير في  
مثل هذا اليوم المبارك

وقد كان مع الخادم بفلتان فارهتان من مطايا الامير  
وقد جللنا بالدباج ومُحليتنا بالفضة ، فركبت أنا والفقير  
وسرنا حتى وصلنا الى دور الامارة فوقمت عيسى علي شيء  
لم تقع على مثله من قبل

قصور كالسكواكب لامعات

يكدن بضئ للسادى الظلاما

• • •

---

(١) تاريخ أبي الفداء

وقبة ملك كأن النجوم م تفضي إليها بأسرارها  
لها شرفات كأن الريم كساها الرياض بانوارها

• • •

كأن جن سليمان الذين ولو ابدعها قادقوا في مغانيها  
ولما أن وصلنا الى دور الامارة أشار علينا الخادم بالنزول  
وأسلمنا الى الحجاب فساروا بنا في بحر مفروش بالحصىاء  
تخفلها الفسيفساء ، ثم سلكوا بنا حدائق فيحاء ، مترامية  
الأنحاء ، قد اغلويت فيها الاشجار ، وتعلقت باغصانها  
الاطيار ، وانسربت فيها الجداول والأنهار ، واعشوشبت  
فيها النجوم <sup>(١)</sup> والازهار

والجو من ارج الهواء كأنه ثوب يعبر نارة ويمسك  
ومازلنا الى انهمينا الى قصر الأمير ، فرجع الحجاب  
بعد أن اسلمونا الى الحجاب المقربين ، فرقى بنا هؤلاء سلما  
ينتهي بالراقى عليه الى بهو عظيم بلا صدر الناظر إليه دهابة  
وجلالا ، فاجتزناه واجتزنا بعده غرفا ومقاصير عدة حتى

(١) كل ما نجم من نبات الارض

انتهينا إلى مجلس الأمير: وتاهيك به مجلسا لم أر ما هو أحق  
منه بقول من قال:

قصر لو انك قد كحلت بنوره  
اعنى لهاد إلى المقام بصيرا  
أبصرته فرأيت أهدح منظر  
ثم اثنتيت بتاظرى محسورا  
فظننت انى عالم فى جنة  
لما رأيت لك فيه كبرا  
تجرى الخواطر مطلقات أعنة  
فيه فنكبو عن مداه قصورا  
ضحكت محاسنه اليك كأنما  
جملت لها زهر النجوم ثمورا  
وإذا الولائد فتحت أبوابه  
جطت رجب بالعفاء صريرا  
عضت على حلقاهن ضراقم  
فقرت بها أفواهها تكبيرا

فكأنما لبدت لهمصر عندها  
من لم يكن بدخوله مأمورا  
ومصنوع الأبواب تبرا نظروا  
بالتنقش فوق شكوله تنظيرا  
وإذا نظرت إلى غرائب سقفه  
أبصرت روصا في السماء نصيرا  
ومنعت به صناعها أعلامها  
فأرنتك كل طريدة تصورا  
وكأنما للشمس فيه ليقة

مشقوا بها التزييق والتشجيرا<sup>(١)</sup>

فلما أقبلنا على المجلس غلبني البهر من جلالة الأمير ،  
فسلم الفقيه الوثائق ، ثم سلمت بعده بالامارة فردا على  
السلام باشا في وجهي واذن لنا بالجلوس ، وقد كان قاضي  
القضاة جالسا عن يسار الأمير ، ثم أخذ الأمير في أحاديث

---

( ١ ) الايات لابن حمديس وقد تمثلنا بها على الرغم من  
تأخر زمنه عن زمن الرحلة وبحسب القارىء تنبيهنا إلى ذلك

شئ يقصد بها لعله أن يؤنسني وينفي الوحشة من ساحتي  
وبعد أن آنس مني الانس به قال : أي متتوي ينتوي  
أخونا المصري انت شاء الله ، فقلت اتى أنتوى يا مولاي  
القطر الاندلسي ، فقال : ومنى زابل مصر ، فقلت منذ  
نيف وعشرين يوما ، فقال وكيف فارقتها ، فقلت على أحسن  
حال يا مولاي الأمير . فقال : وكيف حال الأمير انوجور  
وحال كافور معه <sup>(١)</sup> فقد اتصل بنا أن كافورا قد استبد به  
وغلبه على أمره . فقلت : اذا كان كافور يا مولاي قد  
استبد بالامير انوجور فان المصريين قد استبدوا بكافور ،  
فقد أصبح كافور للمصريين لا لنفسه ولا للأمير ،

( ١ ) كان بلى مصر في ذلك الوقت من قبل العباسيين ابو  
القاسم انوجور الاخشيدى واصغر - نه كان ابوالمسك كافور وهو  
الذي اشتراه محمد بن طنج الاخشيد من رجل مصري يسمى محمود  
بن وهب بن عباس بثمانية عشر دينارا وجعله أتاك ولديه «  
فكان كافور قبا على انوجور مستبدا طبعها بالامر دونه وكانت  
الدولة الفاطمية المستولية على طرابلس ونونس والجزائر ومراكش  
في ذلك العهد طامعة في أخذ مصر فعلا فتحتها بعد ذلك بضع  
سنوات بعد موت كافور



فغيرته فينا عادة رشيدة . وحاله معنا جيلة سيديدة (١)  
لأنه يعلم أن الملوك انما هم خدام الرعية فكيف يظلمونها  
ويستجيزون كيدها ، ولم يستعبدون الناس وقد ولتهم  
امهاتهم أحراراً ، على أن كافور ليس هو وحده الذي نهض  
بأعباء الملك ، وانما يشد أزره ، ويشاركه أمره . وزيرنا  
الأعظم أبو الفضل جعفر بن الفرات وغيره من رجال  
الدولة . فقال الأمير : ولكن أليس اليق بكم واسمى وانبل  
أن على أمركم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه أمير المؤمنين  
المعزدين الله ، وأنت تعلم أنها الأخ ان المباسيين قد ضعف  
أمرهم . وتضعفت حالهم ، والثبات عليهم ملكهم ، وانتزى  
الاعاجم والأتراك على البلاد فاقطعوا الممالك منهم وتفردوا  
بالأمر دونهم (٢) . اما عبد الرحمن الناصر صاحب

---

(١) كان كافور كما يقول ابن خلكان من أعظم الملوك جوداً  
كثير الخشية لله والخوف منه وكان يجلس للمظالم بنفسه في  
كل سبت وكان يرغب في أهل الخير ويعطيهم وقد امتدحه  
المتنبي بقصائد عدة

(٢) كان الخليفة العباسي في ذلك الوقت هو المطيع شوقي

الأندلس فقد اكتفى بما في يده من الممالك انترامية  
الأطراف ، فلم يبق الا أن تستظلوا بظل خلفائنا  
الفاطميين حتى يحموكم ويردوا عنكم طمع الظالمين . وهنا  
طار طائر الغضب إلى رأسى فلم البث أن اندفعت قائلا :  
ان مولاي الأمير حفظه الله يعلم أنه اذا مُعِدَّ من أظلم الظلم  
وانكر النكر أن ينقض جراح من الجوارح على وكر طائر  
آمن في سربه فيزعجه في سكنه ، وينفص عليه عيشته ،  
ويستلبه سراحه وحرية . ويضطره اما الى الظن الى جو  
غير جوه ، أو الاقامة بجواره بين مخليه وظفروه . فان من  
الظلم الذي لا ظلم وراءه أن تمدوامة على اخرى وحجبتها  
ايامه كانت فارس في يد حمز الدولة بن بويه والموصل وديار بكر  
ومصر وريسة في يد سيف الدولة بن حمدان ومصر والشام في  
يد الاخشيدي والبصرة في يد ابن رائق وخوزستان في يد البريدي  
وكرمان في يد ابي علي بن الياس واصفهان والجيل يتنازعها آل  
بويه ومرداويج وما وراء النهر في يد بني سامان وطبرستان  
وجرجان في يد الديلم والبحرين واليمامة في يد القرامطة وذلك  
هذا الاندلس والمغرب

ذلك أن تحميتها من طمع الطامعين . ليس من السفطة ،  
وأقعد ما يقال في باب المغالطة ، أن يعدو قوم على قوم بحجة  
أن هذا العدوان إنما هو وقاه لهم من عدوان آخرين ؛ ولم  
لا تبدأ هذه الأمة بنفسها فترج غيرها من عدائها ، أن  
مولاي الأمير اعلم أن حب الوطن من الإيمان ويقول  
رسول الله صلوات الله عليه : حب الوطن من طيب المودة ؛  
ويقول : لو لا حب الوطن لخربت بلاد السوء : على أن فطرة  
الإنسان معجونة بحب وطنه ، ولذلك يقول بقراط : يداوى  
كل عليل بمقاير أرضه ، ويقول جالينوس : يروح العليل  
بنسيم بلده كما تروح الأرض الجلبة ببلل القطر ، وروى  
أنه لما أسر سابور بلاد الروم قالت له بنت الملك - وكان قد  
مرض وعشفته - ما تشتهي قال شربة من ماء دجلة وشمة  
من تراب اصطخر فخملأ إليه فبرأ وأبل من مرضه . والكريم  
يامولاي يحن إلى جنابه ، كما يحن الأسد إلى غابه ، وكفى دلالة  
على محبة الوطن قول الله جل شأنه : ولو أنا كتبنا عليهم أن  
اقتلوا أنفسهم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الآية ومن

ثم كان الأم بيت قائم للعرب فوق للقائل :  
نقى بكل بلاد إن حملت بها  
ناساً بناس وإخواناً باخوان  
فلا جرم أن يشغل حب مصر والمصريين في السواد  
من حبة القلب منى ، حتى لكأنى الممى بقول من يقول :  
كان فؤادى من تذكره الحمى  
وأهل الحمى بهفو به ريش طائر  
وكيف لا أحب بلداً ولدت فيه ، وأرضه هي أول  
أرض من جلدى ترابها ، وقد طعمت غذاءها وشربت ماءها  
التمير ، ماء نيلها المبارك لذي يمدد الأقدمون عن زعمهم  
إن الجنة منبعم السرب منها إلى هذه الحضراء  
بلد صحبت به الشبيبة والمسي  
وابست فيه العيش وهو جديد  
فاذا تنلى في الضمير رأيت  
وعليه أفتية الشيايب تيمد

ألا يا حبذا وطني وأهلي  
وصحبي حين يُذكر الصاحب  
وما عمل يبارد ماء مزن  
على ظمأ شارب يشاب  
بأشعي من لثامكم البنا  
فكيف لنا به ومتى الأبواب

ومولاي الأمير بعمد علماء ليس بالظن أن الحكام للفرباء  
عن البلاد معها كانت منزلتهم من العدل لتأني عليهم سنة  
الله في خلقه إلا أن يسيروا الرعية التي لا تمت إليهم برحم  
أو آصرة موطن ، أما رهط المرء فرحم الله من قال  
لعمري لرهط المرء خير بقية  
عليه وإن عالوا به كل مركب  
إذا كنت في قوم بعداً<sup>(١)</sup> لست منهم  
فكل ما علفت من خبيث وطيب  
لذلك كله أقول وأنا آمن الأمير

ولي وطن آليت ان لا ابيمه

وأن لا اري غبرى له الدهر مالكا (١)

وهنا اطرق الامير ثم ابعت قاضى القضاة قائلاً :  
أظن اخانا المصرى لا يفتب عنه أن الارض قد ملئت اليوم  
جوراً وظلماً وعدواناً ، وذام الفساد ، فى البلاد ، وعم الشر  
وطم ، فلا بد من امام عادل يعلأ الدنيا قسطاً وعدلاً كما  
ملئت جوراً وظلماً ، ولا يكون هذا الامام الا من ولد

( ١ ) البيت من أبيات لابن الرومي يقول فيها بعد هذا

البيت

عهدت به شرخ الشباب ونعمة

كنعمة قوم اسبحوا فى ظلالها

فقد القته النفس حى كأنه

لها جسد ان بان غودر هالكها

وحجب اوطان الرجال لليهم

ما ربه قضاها الشباب هنالكها

اذا ذكروا اوطانهم ذكرهم

عهود الميا فيها فحنوا لذلكها

فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم : وها هو ذا قد  
صدق رسول الله وعده وجاء اليها امام المسلمين العادل الرحيم  
للبار برعيته . الداعي الى الحق والقائم بنصرته ، مولانا  
واين مولانا المعز لدين الله بن مولانا النصور بن مولانا  
القائم بن مولانا عبيد الله المهدي ادام الله تأييده ، هذا الى  
انه لا يوجد اليوم بين ملوك المسلمين من هو اعز من مولانا  
نقراً . واكراً . مالا ووقراً ، واقوى سلاحاً وشوكه ، وأبعد  
في سياسة الامم نجربة وحكمة . فكان لذلك من الواجب  
الحتم على كل مسلم أن يعمل على نشر دعونه . ويستظل  
برعايته . فاكاد قاضي الفضاة يتم كلامه حتى ابتدأت فقلت  
ان المصريين لا ينكرون على امير المؤمنين المعز لدين الله  
شيئاً مما قلت بيد أن مولانا حفظه الله بعرف بما عرف من  
طبايع البشر ان الامة التي تنقلب على امرها ، ويخفق عليها  
لواء نجرها ، وتصبح بالاستعباد آلة لسواها وعالة عليها ،  
يتصر ملها . ويبلى رجاؤها ، ونضوى ارواحها  
واحتمال الاذى ورؤية جانبي . فغذاء تضوى به الاجسام

وذلك لما خضع القلب عليها من شوكتها، وكسر من  
حياتها، فيفضي ذلك على كرا الأدهاء، ونعاقب الليل والنهار،  
الى أن ترأم للفيل<sup>(١)</sup> والاستخاء، وتشتعل بردية الكسل  
والونه، فيكون من نتائج ذلك ضعف النشاط في القوى  
الحوية وهلم حتى يتناقص عمرانهم وتلاشي مكاسبهم  
ويمجزوا عن المدافعة عن أنفسهم. فيصيحوا مغليين لكل  
متطلب، طمة لكل آكل. نهياً متمسماً لكل ناهب، ونعت  
شيء آخر وهو أن الانسان يا مولاي رئيس بطبعه يفتضي  
الاستغلاف الذي خلق له، والرئيس اذا غلب على رأسته،  
وكبح عن غاية عزه تكامل حتى عن شبع بغنه وودي كبده  
وهذا سر ركب في غر نزل البشر كما انه وجد مثله في الحيوانات  
المقتربة، فانها لا تسافد كما يقولون اذا كانت في مملكة  
الآدميين

ذل من يغبط للذليل بعيش رب عيش أخف منه الحام

\*\*\*



وهنا كان الامير اراد أن يطوى بساط هذا الموضوع  
فانتقل فجأة الى معنى آخر فقال : هل يحفظ اخوانا المصري  
شيئا مما مدح به المتنبي الشاعر كافورا ، وهل لا يزال هذا  
الشاعر مقبلا في مصر ، فقالت : نعم يا مولاي الامير - لقد  
فارقت مصر ولما يزال المتنبي في خدمة مولانا الاستاذ أبي  
المسك كافور ، ولقد امتدحه بأحسن المدح ، وحق له أن  
يمتدحه ، اذ اللهيا يا مولاي تفتح اللهيا <sup>(١)</sup> كما يقولون ، فما  
يطلق بالذاكرة مما انشديته . قوله فيه ، بعد أن وصف  
الخليل التي سرت به اليه

فواسد كافور توارك غيره

ومن قصد البحر استفل السواقيا

فجاءت بنا انسان عين زمانه

وخلت بيامنا خلفها وماقيا

---

( ١ ) اللهيا الاولى بضم اللام جمع لهوة وهي العطية واللهيا  
الثانية بفتح اللام جمع لهاة وهي هناة حمراء في الخنك معلقة على  
مكدة الانسان

وقوله من قصيدة  
وأخلاق كافورا إذا شئت مدحه  
وان لم أشأت لي علي فأكتب  
إذا ترك الإنسان أهلا وراءه  
وعم كافورا فما يتغرب  
وفي هذه القصيدة بقول  
وما الخليل إلا كالصديق قلبه  
وإن كثرت في عين من لا يجرب  
إذا لم تشاهد غير - ن شيئا  
وأعضائها فالحسن عنك منيب  
لما الله ذي الدنيا مناخاراكب  
فكل بعيد المم فيها معذب  
وله فيه قصيدة مظهرها  
أود من الأيام ما لا توده  
واشكو اليها بيننا وهي جنده  
يحول فيها من حكمته الباتة

وأتمب خلق الله من زاده  
وقصر عما تشهى النفس ووجهه

فلا ينحلل في الجسد مالك كله  
فيتحل مجدك بالمال عقده  
ودبره تدبير الذى الجسد كفه  
إذا حارب الأعداء والمال زنده

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله  
ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

إلى أن يقول

وما رغبتى في عسجد أستفيده  
ولكنها في مفخر أستجده

وقوله فيه من أخرى مطلها

من الجأذر في زى الأعارب

هر الخلى والطايا والجلاليت

•••••

كأن كل سؤال في ميامه  
فيمس يوسف في أجفان يعقوب  
إذا غزته أعاديه بمسألة  
فقد غزته بجيش غير مغلوب  
ويعجبي من نسب هذه القصيدة قوله  
كم زورة لك في الأعراب خافية  
أدعي - وقد رعدوا - من زورة الذيب  
أزورم وسواد الليل يشفع لي  
وأنتني ورياض الصبح يفرى بي  
إلى أن يقول  
ما أوجه الحضر المستحبات به  
كأوجه البدوات الرعايب  
حسن الحضارة مجلوب بظيرة  
وفي البداوة حسن غير مجلوب  
فقال الأمير : بيد أنه بلغنى اليوم فقط أن المتنبي زایل  
مصر يا ختره وهيا كافورا هجاء تسيا مرا بأبيات يقول فيها

لقد كنت أحسب قبل الخطيئة  
أن الرؤوس مقر النهي  
فلما نظرت إلى عقله  
رأيت النهي كله في الخطيئة  
وماذا يصير من المضحكات  
ولكن ضحك كالبكي  
بها تبطل من أهل السواد  
يدرس أنساب أهل العلا  
وأُسود مشفوه نصفه  
يقال له أنت بدر الدجى  
وشعر مدحت به الكركدنم  
بين القريض وبين الرقى  
فما كان ذلك مدحله  
ولكنه كان هجو الوردى  
إلى أن يقول

ومن جهات نفسه قدره

رأى غيره منه ما لا يرى

فقلت إذا كان قد هجاه فقد قال الله جل شأنه والشعراء

يتبعهم النواوون ألم تر أنهم في كل واد بهيمون وأنهم يقولون  
مالا يفعلون ، وصدق رسول الله صلوات الله عليه <sup>(أذنبوا)</sup>

الناس من أكرمه الناس اتقاء لسانه ، ورحم الله من يقول

لا نواخ شاعراً فإنه يمدحك بشئ ويهجوكم بمائتاً . على أن

للمتنبي رجل ذو طماعة وطامح . وكان مولاي الأستاذ أبو المسك

وعده بولاية بعض أعماله فلم له رأى منه بعد ذلك ما لم يستطع

معه الوفاء بما وعد<sup>(١)</sup> فقال فيه المتنبي ما قال — قال الأمير

ولكن المتنبي في سيف الدولة بن حمدان وفي غيره ما هو

أبرح مما مدح به كافوراء ويمجيني من قصيدة له في ابن

حمدان قوله

---

(١) روي أن كافوراً كان قد وعد المتنبي بولاية بعض

أعماله فلما رأى تعالىه في شعره وهموه بنفسه خافه وهوت فيه

فقال يا قوم من ادعى النبوة بعد محمد أما يدعي المملوك مع كافور

إذا ما سرت في آثار قوم  
تخاذلت الجاهم والرقاب<sup>(١)</sup>

إلى أن يقول

وكيف يتم بأسك في أناس  
تصيبهم فيؤلمك المصاب  
زرق أبها المولى عليهم  
فإن الرفق بالجاني عتاب  
وأنت حياتهم غضبت عليهم  
وهجر حياتهم لهم عقاب  
وما جهلت أباديك البوادي  
ولكن رعبا خفي الصواب

(١) أوضح هذا المعنى أبو بكر الخوارزمي فذكره في

ثلاثة أبيات قال

وكنيت إذا نهيت لغزو قوم      وأوجبت السياسة أن يبينوا  
تبرأت الحياة إليك منهم      وجاء إليك بعتذر الحديد  
وطلقت الجاهم كل ضعف      وانكر صعبة العنق الورد

وكم ذنب مولده دلال  
وكم بعد مولده اقتراب  
وجره جره سفهاء قوم  
وحل بنير جارمه العذاب  
وقوله فيه من قصيدة  
يقود اليه مطاعة الناس فضله  
ولو لم يقدحها نائل وعقاب  
أيا أسدا في جسمه روح سليم  
وكم أسد أرواحه كلاب  
وفي هذه القصيدة يقول  
وفي الجسم نفس لا تشيب بشيبه  
ولو ان ما في الوجه منه حراب  
لها ظفر إن كل ظفر أعده  
وناب إذا لم يبق في الفم ناب  
يغير من الدهر ما شاء غيرها  
وأبلغ أقصى العمر وهي كعاب



الى أن يقول

والسر منى موضع لا يشاله

تديم ولا يفضى اليه شراب

وقه هو إذ يقول في كلمة له

دم النفس تأخذ وسمها قبل بينها

ففترق جاران دارهما العمر

ولا تحسبن الحمد زنة وفينة

فما الحمد إلا السيف والفتكة البكر

وتضرب أعناق الملوأ أن يرى

لك الهبوات السود والعسكر المحر

وتركك في الدنيا دويا كأنما

تداول سمع المرر أعلاه المشر

إذا الفضل لم يرفعك عن شكرنا قص

على هبة فلفضل فيمن له الشكر

ومن ينفق الساعات في جمع ماله

مخافة قهر فالذي فعل الفقر

ثم قال الأمير : وهل لا يرى أخونا المصري لأبي  
القاسم ابن هانيء اللندسي شاعر أمير المؤمنين المعز لدين  
الله ما يستأهل به أن يلتزم مع المتأني في قرن<sup>(١)</sup>؟ فقلت  
إني أخشي يا مولاي أن أصرح برأبي . فقال قل وأنت  
آمن . فقلت إني لا أشبهه يا مولاي إلا برحى تطحن  
قرونا<sup>(٢)</sup> وإني كلما أنشدت شعره فكأنني أسمع جمجمة  
ولا أرى طحنا ، فارتد وجه الأمير غضبا ثم تحالم وقال :  
وهل يقال مثل هذا فيمن يقول

يا بنت ذي السيف الطويل نجاده  
أكذا يجوز الحكم في ناديك  
عينك أم متناك موعدا وفي  
وادي الكري أقالك أم واديك  
منموك من سنة الكري وسرواقلو  
عثروا بطيف طارق غثوك

---

(١) يجاريه ويتساوى به (٢) هذه الكلمة لأبي العلاء  
قالها لما سمع شعرا ابن هانيء

ودعوك تشوى ماسقوك مدامة  
لما تأيل عطفك انهموك  
حسبوا التكحل فى جفونك حاية  
تأ الله ما بأ كفهم كحلول  
وجلوك لى اذ نحن غصنا بانه  
حتى اذا احتفل الهوى حجبوك  
ويقول من آيات فى وصف الخيل

تكاد تحس اختلاج الظنور      ن بين الضلوع وبين الحشى  
ومن رفقها أنها لا تحس      ومن عدوها أنها لا ترى  
وتحسب اطراف آذانها      براعا برين لها بالمدى  
جرين الى السبق فى حلية      اذا ما جرى البرق فيها كبا  
ديار الامزة امكنها      مكرمة عن مشيد البنا

وهل لمولانا المعز الذى يقول مثل هذا الشعر

اطلع الحسن من جبينك شمسا

فوق ورد فى وجنتيك اطلا

## وكان الجبال خاف على الورد

م جفا فم فم بالشعر ظلا

أن يقرب ابن هانيء إليه ويؤثره على غيره ويمتزه به  
وفآخر لولا أن رآه من الشعر بحيث لا يكاد يتخلف عن  
المتنبي إلى وإذا كانت في المشرق المتنبي ففي المغرب  
ابن هانيء . وإذا كان فيه عبد الله بن المعز فعندنا ابن مولانا  
المعز - الأمير أبو علي نعيم<sup>(١)</sup> الذي يقول

(١) كان نعيم بن المعز شاعراً ماهراً لطيفاً غريباً ولم يل  
المملكة لأن ولاية العهد كانت لأخيه العزيز فوليا بعد أبيه  
المعز وقد توفي نعيم بعمر سنة ٣٧٤ هـ وله شعر جيد يشبه شعر  
ابن المعتز فقد كان يعتدي مثاله ويقف في التشبيهات بجانبه ويفرغ  
فيها على قلبه . ولا بأس بأن نورد هنا قطعاً مختارة من شعره أشادة  
بذكره وتنويهها بقدره لأنه يظهر أن كثيراً من أدباء هذا الجيل  
لا يعرفونه حق معرفته فن قوله

رب صفراء علاتني صفراء    وجنح الظلام مرخي الأزار  
بين ماء وروضة وكروم    ودواب منيفة وصغار  
تنثني به النصوص عليها    وتحجب الفيان فيها القمار

وكان الدجى غدائر شمر      وكان النجوم فيها مداري  
وانجلي النجم عن هلال تبدي      في بد الافق مثل نصف سوار  
ويقول

عنت فالتقي عليها العتاب      ودعا دمع مقلتيها السكاب  
وسعت نحو خدها يديها      فالتقي الياسمين والعتاب  
رب مبدى تمنى جعل المذ      ب رياء وهمه الاعتاب  
فاسقينها مداة تصبغ السكا      من كايصبغ الخدود والشباب  
ما تري الليل كيف رقد جاء      وبدا خيلسانه ينجاب  
وكان الصباح في الافق باز      والدجى بين غلبه غراب  
وكان السماء لجدة بحر      وكان النجوم فيها حباب  
وكان الجوزاء سيف صقيل      وكان الدجى عليها قراب  
ويقول

وزنجية الآباء كرخية الجلب  
عبيرة الانفاس كرمية النسب  
كيت      زلنادتها فتفجرت  
بأمر كان مثل قطر من الذهب  
فلما شربناها سبونا كحاننا  
شربنا السرور المحض واللهو والطرب

ولم تأت شيئاً يسخط المجد فعله  
 سوى أننا يمنا الوتار من القمب  
 كأن كؤوس الشرب وهي دوائر  
 قطائع ماء جارد تحمل القهب  
 يمد بها مكفا حضيها يديرها  
 وليس بشيء غيرها هو يختضب  
 فبقنا نسقي الشمس والليل راكد  
 وتقرب من بدر السماء وما قرب  
 وقد حجب القمر الهلال كأنه  
 ستارة شرب خلفها وجه من أحب  
 كأن النريا تحت حلقة لونها  
 مداهن يلور على الأرض تضطرب

ويقول

كأن السحاب للفر أصبحن أكؤسا  
 لنا وكأن الراح فيها سنا البرق  
 إلى أن رأيت النجم وهو مغرب  
 وأقبل رايات الصباح من الشرق  
 كأن سواد الليل والصبح طالع  
 بقايا جمال الكحل في الأعين الزرق

ويقول مفتخرًا

ألقى السكى فلا أخاف لقاءه  
وأكر في صدر الخيس معانفاً  
وعلمت أخلاق الزمان فلم أضق  
وكما يمل الدهر من إعطائه  
وكما يكر لعشر بسعادة  
فاذا رماك بشدة فاصبر لها  
وصل الليالي عن تقاذع عزمي  
تخبرك أني لم ألقها  
أصبحت لأشتاق الالندي  
واذا السيوف قطع كل ضريبة  
ويقل أقدامي شيا الحدثان  
لموت حين يفر كل جبان  
ذروا بأيامي وغدر زمان  
فكذا ملاك من الحرمان  
فكذا يكر لعشر بهوان  
فلسوف يأتي بعدها بليان  
وصل الحوادث عن ثبات جناني  
بين الزائم واهن الأركان  
ألقوا ولا أهوى سوى الاحسان  
قطع السيوف القاطعات لسان

ويقول وهو مما يشغى به

قالت وقد نالها اللين أوجه

واللين صعب على الاحباب موقعه

لجعل يديك علي قلبي فقد ضمت

فواه عن حمل ما فيه وأضله

وانعطف علي المطايا سامة فمى

من شت شمل الهوى بالين يجمعه

وكما عمل الدهر من اعطائه فكذا ملأته من الحرمان

ويقول

وما أم خشف ظل يوما وليلة

يبلغه بيضاء ظلال مصاديا

نهم فلا ندري الى أين تنتهي

مولحة جبري نجوب النياقيا

أخرتها حمر الهجير فلم تجد

أغلاها من بارد الساء شافيا

فلما دنت من خشفها انعطفت له

فألفته ملهوف الجوانح طاويا

بأوجع من يوم شدد حملهم

ونادى منادى الحى ان لا تلافيا

ويقول

---

كأنني يوم ولت حسرة وأسى

غريق بحروي الشاطئ وبمنه

وشمره كله مختار طريف



أما والقي لا يملك الأمر غيره  
ومن هو بالسر المكنم أعلم  
لئن كان كتمان المصائب مؤلماً  
لأعلاها عندي أشد وآلم  
وبى كل ما يبكى الميون أغله  
وإن كنت منه دائماً اتبسم  
وبعد ذلك رأيت من الحزامة أن لا أطيل سبب  
المحاجة ، فخرجت بالصمت عن لا ونعم ، ثم أمرني الأمير  
بمطاء سني ، ثم اذن لي في الانصراف من حضرته

• • •

### جزائر ميسورقة ومنورقة وبابنة

وقبل أن اختتم هذه الرسالة آتي لك على شيء مما  
اعترضنا في طريقنا بعد أن انفصلنا من بلرم قاصدين إلى  
المرية ، فن ذلك أنا ونحن نزاء جزيرة كبيرة تسمى سردانية

ابصرنا أسطولا كبيرا قادمًا من ناحيتها ، وقد علمنا أن هذا  
الأسطول هو أسطول المعز لدين الله : غزا هذه الجزيرة ،  
وبلاد جنوبه من بر الأرض الكبيرة ، وغنم وسبي  
شيئا كثيرا يخطئه العد والاحصاء ، وما خام <sup>(١)</sup> في سائر  
غزواته عن اللقاء ، على ما في ذلك من الغرر ، إذ أن وراء  
هذه البلاد من أمم أفرنجية عديد الذر ، غير أن المعز يفعل  
ذلك الفينة بعد الفينة ، لأنه يعلم أن الجهاد باب من أبواب  
الجنة ، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله الذل وسما الخسفة  
وذيت الصغار <sup>(٢)</sup> . وإن أمة من الأمم تريد أن تكون  
عزيرة مهيبة لا يد من أن تنزوها غيرها فيل أن ينزوها  
الآغيار ، ورضي الله عن علي بن أبي طالب إذ يقول في إحدى  
خطبه : ما أغري قوم قط في شهر دارم إلا ذلوا :

• • •

وهذه سردانية جزيرة كبيرة في غرب هذا البحر

( ١ ) خام أي جبن ونكس ( ٢ ) أي ذل يقال للبعير إذا

ذلت الرضاة بغير مديت أي مذل

الرومي غزاها المسلمون حوال سنة ٩٢ هجرية الموافقة سنة ٧١٠ ميلادية في عسكر موسى بن نصير وملاكوها حينئذ من الدهر ثم تركوا حيلها على غاريها ثم في الآتي يقزونها من وقت لآخر ويفنمون ويسبون لما علمت .

• • •

وقد مررنا فيما مررنا به من جزر هذا البحر بجزائر ثلاث متجاورات تسمى ميورقة ومنورقة ويابسة (١) ، وهي جزائر عامرة مأهولة بالمسلمين يرجع أمرها إلى صاحب

( ١ ) جاء في نفع الطيب : وجزيرة ميورقة مسافة يوم . بها مدينة حسنة وتدخلها ساقية جارية على الدوام وفيها يقول ابن اللبابة

بلد اعارته الحمامة طوقها وكساء حلة ريشه الطاووس  
فكأنما الانهار فيه مدامة وكأن ساحات الديار كؤوس  
وقال يخاطب ملكها في ذلك الوقت

وغمرت بالأحسان ارض ميورقة وبشيت دالم يسه الاسكندر  
والى هذه الجزائر ينسب جماعة من العلماء والادباء ارجأنا  
ذكرهم الى الرسالة الرابعة لانها موضع ذاك

الاندلس . وعليها وال من قبله . ومن هنا تعلم أن المسلمين  
قد ملكوا ناصية هذا البحر الرومي بما فيه من الجزائر  
الكبيرة والصغيرة علاوة على جزائر بحر الظلمات المحيط  
الأطلسي ، كما أسلفنا لك فسبحان المعز لمن يشاء ، وان  
الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .

• • •

« تمت هذه الرسالة - وقد كتبت على متن البحر  
وينتنا وبين البرية مسيرة يوم أو بعض يوم . وذلك في شهر  
جويلية الرومي سنة ست وخمسين وتسعمائة الموافقة سنة  
خمس وأربعين وثلثمائة هجرية »



# الرسالة الثانية

منه المرية الى قرطبة

أخذك يا أخى لا تزال على فكر من أن الرسالة  
الاولى من هذه الرسائل كتبت ونحن على متن البحر -  
قبل أن نصل الى صرافيء الاندلس . اما هذه الرسالة الثانية  
فقد وسمتها بما بعد أن حططنا رحلتنا في قرطبة حضرة هذه  
البلاد " عاصمتها " وقد خصصت هذه الرسالة بوصف كل  
ما مر بنا من حين اقترابنا من ميناء المرية الى أن وصلنا  
إلى قرطبة .

\*\*\*

اما المرية فهي إحدى مدن الاندلس الكبيرة الواقعة  
في شرقها ، وهي على ساحل البحر الرومي ، البحر الأبيض  
المتوسط ، وهي مرسى للسفن القادمة الى هذه البلاد

الاندلس - وفي ميثاقها يربض الجانب الأكبر من أسطول  
الاندلس الأعظم والجانب الآخر يرسى في بجاية - وهي  
واقعة بين جبلين ، قلى الجبل الواحد قصبتها المشهورة  
بالحصانة ، وعلى الآخر ربضها - والور محيط بها وبالربض ،  
وفي غربيها ربض لها آخر يسمى ربض الحوض ، ذو فنادق  
وحمامات وفنادق وصناعات ، وقد استدار بها من كل جهة  
حصون مرتفعة واحجار أواية وكأغصا غربلت أرضها من  
التراب . ولها مدن وصياغ عامرة متصلة الأنهار ، وطول وادبها  
أربعون ميلا في مثلها كلها بسانين بهجة وجنتات نظرة  
وأنهار مطردة وطيور مفردة وتشتمل كورتها على معدن  
الحديد والرخام - وبها النسيج طرز الحرير ثمانية نول . ولها حلل  
النفيسة والديباغ الفاخر ألف نول ، ولها ثياب الجرجانية  
والاصفهانية كذلك - وبمصنع بها من صنوف آلات  
الحديد والنحاس والزجاج مالا يوصف ، وقد علمت أنه  
لا يوجد في بلاد الاندلس أكثر مالا من أهل المربة ،  
ولا أعظم متاجر وقنائر - وبها من الحمامات والفنادق نحو

الآلاف . وفاكهة المرية يقصر عنها الوصف حسناً . وفيها كثير  
من العلماء والادباء والفلاسفة <sup>(١)</sup>

وجملة القول أن المرية هذه كما رأيت تزخر بالحياة  
زخراً . وتتعلق بنشاط المسلمين وجدهم . وبقايت  
عزيم لذلك ومجدهم

فلو أن السماء دنت لمجد ومكرمة دنت لهم السماء

• • •

ولما صافح مركبنا امواه المرية - وكان يسير بمحذاثنا  
مركب آخر علمنا أن فيه ابا علي القالي اللغوي وافد للمراق  
وسائر من قاموا معنا من الاسكندرية في مركب امير  
المؤمنين عبد الرحمن الناصر - آتينا من جانب الميناء -  
ميناء المرية - اسطولا كبيراً قادماً علينا حتى اذا صار منا اذني  
ذي ظلم <sup>(٢)</sup> أخذ بحيتنا من فيه بالرايات والاعلام - وكان  
فيه الامير عبد الرحمن بن رماحس قائد أساطيل الاندلس  
الاكبر - اذ امره مولاي الحكم بن امير المؤمنين

(١) أرجاءنا ذكر من انجبت المرية وبجاية الى الرسالة الرابعة (٧) فرياً جذاً

عبد الرحمن الناصر وولى عهده أن يتلقانا في وفد من وجوه  
الاندلسيين ويحيى منّا الى قرطبة. تكملة من الامير لنا  
ولا يبي على القتلى حفظه الله - فكان من رجال ذلك الوفد  
شاعر الاندلس يوسف بن هارون الرمادي وابو بكر  
بن الفوطية سيد علماء اللغة في الاندلس وابن رفاعه الالبيري  
احد ادباء البصرة وفي اشأ يتوقد ذكاء ويقطر أدبا والممة  
يسمى أبا بكر الزبيدي وكثير غير او انك من علماء الاندلس  
واعيانها وفوادها - وهذه عمرك الله اية عمة على شدة  
عناية الامير بالعلم واهله - ولا بدع فقد وقفنا من ذلك على  
الشيء الكثير الذي سماه هذا الامير في اعياننا ، فن ذلك فيما  
تحققناه انه يبعث الخين بعد الخين في شراء الكتب الى  
الافطار ، رجالا من التجار ، ويرسل اليهم الاموال لا يتبعها  
حتى جلب منها الى الاندلس ما لم يعمدوه في ربوعها ، وقد  
بعث في كتاب الاغانى لابن الفرج الاصفهاني . وارسل اليه  
فيه الف دينار من الذهب المين . فبعث اليه بنسخة من  
قبل أن يخرج الى العراق . وكذلك فعل مع القاضي ابي بكر



الأبهري في شرحه لمختصر بن الحكم : فهكذا هكذا تكون  
الملوك والأمراء . ويتنزل هذا يتنشق العلم والعلماء .

وما أرسى مركبتنا والمركب الذي يقل أبا علي القالي على  
ميناء المربة قدم لنا ابن رماحس جميع رجال الوفد الأندلسي  
وعرفنا بهم ثم امتطينا المطايا الفارهة وذهبنا إلى دار  
ابن رماحس الكائنة في فحسية هذه المدينة

ولما استقر بنا النوى وأقمنا عصا النسيار . وانتظم  
شملنا في تلك الدار . أخذ الرمادي الشاعر ينشدنا أبياتاً له  
في اسماعيل بن عيذون القالي يمدحه بها<sup>(١)</sup> علق المذاكرة  
منها هذه الأبيات

من حاكم بيني وبين عذولي

الشجو شجوى والعويل عويلي

في أي جارحة أصون معذبي<sup>(١)</sup>

سكنت من التعذيب والتشكيل

---

(١) مدح الرمادي أبا علي القالي حقيقة هذه الأبيات (٢) من  
هنوات الشعراء المستخرجة ما روي أن المتنبي لما جمع هذا البيت

ان قلت في بصرى فتم مداامي  
أو قلت في قابي فتم غليلي  
اسكن جهلت له السامع موضعاً  
وحديثها عن عدل كل عدول  
الى أن يقول متخلصاً بعد أن وصف الروض  
روض نهاده السحاب كأنه  
متعاهده من عهد اسماعيل  
قسه الى الاعراب تعلم أنه  
اولى من الاعراب بالتفضيل  
حازت قبائلهم لغات فرقت  
فيهم وحاز لغات كل قبيل

---

قال : بصونه في استه : وان الرمادي لما بلغه قول المتنبي  
كفي بجسي تحولاً أننى رجل  
لولا مخاطبتي اياك لم ترفى  
قال - وأكرم الله مجمع القاريء - اعنه ضرورة

فالشرف خال بعده وكانما  
 نزل الخراب بربعه المأهول  
 فكانه شمس بدت في غربتنا  
 وتغيبت عن شرقهم بأقول  
 يا سيدي هذا ثنائي لم اقل  
 زوراً ولا عرّضت بالتحويل  
 من كان يأمل نائلاً فانا امرؤ

لم ارج غير القرب في تأميلي  
 وبعد ذلك أخذنا في ضروب من الحديث انقضت في  
 نهايتها الى حادث كدر علينا صفامنا . وذلك أن أبا علي أخذ  
 ينثر على الحنفل درر أدبه فكان من بين ما جاء في حديثه  
 أدب عبد الملك بن مروان وأنه قال يوماً لجلسائه : أي المناديل  
 أشرف ؟ فقال قائل : مناديل مصر كأنها غمر في البيض (١)  
 وقال آخر مناديل اليمن كأنها نور الربيع ، فقال عبد الملك :

---

( ١ ) غمر في البيض القشرة الرقيقة التي تعلو البيضة دون قشرها  
 الاعلى وقشرها الاعلى يقال له القبيض

ما صدقنا - شيئاً أفضل المتاديل مناديل أخى نبي سعد عبدة  
بن الطيب اذ يقول

لما نزلنا نصبتنا ظل أخبية

وفار للقوم باللحم المراجيل<sup>(١)</sup>

ورد واشقر<sup>(٢)</sup> ما ينديه طابخة<sup>(٣)</sup>

ما غير الفلى منه فهو ما كول

نمت فنا الى جرد مسومة<sup>(٤)</sup>

اعرافهن لا يدبنا مناديل

وانشد الفلى السكامة في البيت - اعرافها لا يدبنا

مناديل - فا كان من الاديب ابن رفاعه الايبى - وقد

لاحظنا في خافه حرجا وزعارة<sup>(٥)</sup> الا ان اسماء ابا على

(١) جمع مرجل وكان حقها المراجل والكن لما كانت

الكسرة لازمة اشبعها للضرورة (٢) أي ما تنير من اللحم قبل

نضجه (٣) أي ما يؤخره لانه لو آتاه لانضجه لاني معني اناه

بلغ به اناه أي ادراكه والعرب لا تنضج اللحم لتعجيل القرى

ومن ثم قال ما غير الفلى منه فهو ما كول (٤) أي معللة (٥) دراسة

وسوء خلق

اليست مثبتتا مرتين ، في كليهما ينشد اعرافها : فقام ابن رقاعة وقال - مع هذا يوفد على امير المؤمنين وتجتسم الرحلة لتعظيمه وهو لا يقيم وزن بيت مشهور بين الناس لا تملط الصبيان فيه . والله لانيمته خطوة : ثم عم بالانصراف : فندبه الامير ابن رماحس أن لا يفعل فلم يجد فيه حيلة . فاضطر ابن رماحس الى أن يكتب الى الحكم بسرفه وبصف له ما جرى من ابن رقاعة ويشكوه ، فجاء جواب الحكم الى ابن رماحس بما نصه كما اطلعت عليه ابن رماحس

« الحمد لله الذي جعل في بادية من بوادينا من يحفظه  
واقف العراق الياء ، وابن رقاعة اولى بالرضى عنه من السخط  
فدعه لشانه واقدم بالرجل غير منتقص من تكريمه ،  
فسوف يعطيه الاختيار ان شاء الله أو يحطه » (١)

---

(١) هذه الحكاية واقعة تاريخية حدثت لابن علي القالي

عند دخوله الاندلس

## الاسطول الاندلسي

« وروح المعظمة التي ترفرف عليه »

أسلفنا لك في الرسالة الاولى من هذه الرسائل شيئا من القول قد يكون مغنيا في معنى الاسطول واثره الصالح في الدولة التي نعني به . وان الدولة الفاطمية في افريقية . والدولة الاموية في الاندلس ، لهذا السبب بعينه ولان بلادهم واقعة على راس البحر الرومي « البحر الابيض المتوسط » وبحر الظلمات « المحيط الاطلانطي » قد بذنا سائر الدول في العناية بالاساطيل حتى قبضت بها على أعتة البحار . واستولنا <sup>(١)</sup> على ما فيه من جزائر واقطار ، وأصننا بذلك وأصننا رعاياها سادة البر والبحر ، بل ذل الزمان لهم ولانت اعطاف الدهر ، وهذا هو الذي أرحج بين هاتين الدولتين بالفساد . وأرسل بينهما عتارب الاحقاد ، وأثار بينهما نفع الحرب والجهاد ، حتى لا تكاد الحروب

---

(١) استولنا

بين الدولتين يشطفيء لحييها ، فتراهما للثافة من الاسباب  
بجردان الجيوش بعضها على بعض ، وتتلاقى اساطيلها  
مصرحة بالشر . وأملك لم تنس بعد حادثة هذا المركب  
الاندلسي الذي قنا فيه من الاسكندرية ، وانه تحوش وهو  
ذاهب الى المشرق بمركب المعز لدين الله الفاطمي وأخذ  
ما فيه من بريد وبضائع ، فاكاذ من المعز الا أن أرسل  
اسطولاً كبيراً الى مريض الاسطول الاندلسي في المرية  
كما أخبرنا بذلك ونحن في هذا البلد . فمات فيه عيشاً ، وألحق  
به وبالمرية ما ارضاه ونفع غنامه وأعلناً لحييه ، فلم يسمع امير  
المؤمنين عبد الرحمن الناصر الا الانتقام من المعز ، فأمر  
بتجريد الاسطول وحشد المقاتلة والذهاب الى أفريقية  
فذهب اليها تحت أمرة حاجبه الوزير احمد بن عبد الملك  
ابن شهيد اسطول كبير يقبل عددا عظيماً من رجالات  
الحرب ، فهاج أولاً على مدينة وهران وجمع من فرسان  
الاندلس المحتلين بلاد المغرب نحواً من خمسة وعشرين ألف  
فارس ثم هجم بالرجال والفرسان على أفريقية ودارت

بينه وبين رجال المعز ربح الحرب فهزم الاندلسيون قبائل  
صنهاجة وكتامة ، وكان يتألف منها السواد الأعظم من  
جيش الافارقة - واقتفوا آثارهم حتى بلغوا جنواحي تونس  
وهي غنية بجاراتها الواسعة يسكنها كثير من تجار اليهود  
الاغنياء فحسروها برأ وبجراً والحوا في الحصر فيما رأى  
أهلها أن الخطر عظيم بهم عرضوا أن يسلموه المدينة  
وقدموا مياخاً كبيراً من النعال إلى الحاجب ابن شهيد ،  
وقدموا إليه كذلك أنسجة من كل نوع وطرفاً من الخلي  
وذهباً وحجارة كريمة وملابس من الصوف والحرير  
وأساعة وخيلاً وعددا عظيماً من الأرفاء ، ثم غنم عدا ذلك  
سفن الميناء وانقلها وضمها إلى سفينته وكررا جميعاً إلى الاندلس

• • •

ومن سنتهم التي مضوا عليها وجرت عادتهم بها أن  
يحتفلوا بالأسطول عند رجوعه طائفاً من حرب ، فتقوم  
الأساطيل بألعاب وحركات بمرأى من عظماء الدولة ومسمع ،  
كانها في حرب مع الأعداء ، فاتفق في اليوم الذي وصلنا



فيه الى المرية أن أب الاسطول الاندلسي رافعا أعلام النصر  
في هذه الواقعة ، فأمر امير البحر عبد الرحمن بن رماحس  
بأن تقوم الاساطيل بالعابها ، فا كان منا إلا أن يادونا الى  
إمتام أنفسنا بمشاهدة هذه الألعاب حصبة الامير ،  
فذهبنا الى الميناء - ميناء المرية - فوجدنا غمت في انتظارنا  
مركبا كبيرا كأنه دمنوى أو تير ، أو الامل الكبير ،  
فدعينا الى النزول فيه ، ثم أخذ الامير ابن رماحس في أن  
يرينا ما في هذا المركب من بروج وقلاع ومناظر ونوايت  
ومن منجنيقات ومكاحل بارود ونفط - ومن نوبة . ومن  
مقاتله وأساحة وهلم مما قضينا منه عجبا - وهذا المركب  
نوع من الأنواع التي يتألف منها الاسطول يسمى  
« الشواني » الواحد منه « شونه » وبعد ذلك أخذ هذا  
المركب يسير بنا المويضا في اختيال ، مترجعا ذات الميخ  
وذات الشمال . كأنه عروس مجلوة يرقرف عليها روح الجلال  
والجلال ، وبعد أن سار بنا في البحر شيئا ونف حيث نشاهد

حركات الاسطولوج والاعبيه ، وكان الشاطيء ساعته قد  
 قصّ بالنظارة من كل صنف من اصناف الناس ، والزوارق  
 قد انتشرت على متن البحر من جميع النواحي . وفيها ما لا يعلم  
 عديدهم الا الله من الاندلسيين والاندلسيات ، كي يشاهدوا  
 حركات الاسطولوج . فكان لذلك منظر نحسر دونه الظنون  
 وتراجع دون ادراكه الاوهام . منظر يهرر دواؤه الفكر ،  
 ويشيع الروعة في الصدر ، وينتقل من هذا العالم الى عالم  
 آخر كأنه الخلود

مجال اسود وملهى سفين      قيا طيب لمو ويا منظر  
 ويا حسن دنيا ويا عز ملك      يسوسها السانس الاكبر  
 ثم بصرتنا بمد ذلك بالاساطيل على اختلاف ضروبها ،  
 وقد أخذت بصورة شيطانية في الاعبيها . فاذا رأيت ثم  
 رأيت كنانين<sup>(١)</sup> غير أنها تعرف مروق السهام . ورواكد<sup>(٢)</sup>  
 هي مدائن . بيد أنها تعرف مر السحاب غير الجهم<sup>(٣)</sup>

(١) جمع كنانة جمية السهام (٢) نوابت (٣) السحاب  
 الجهم هو الذي لاماه فيه

واطياراً إلا أنها جوارح ، لا تصيد إلا الادواح : وافراسا  
في سرعة البرق اللامع ، سوى أنها ذات دُسر والواح  
تتخاذل الالحاظ في ادراكها

وبحار فيها الناظر المتأمل  
فكانها في اللطف بهم ثاقب  
وكانها في الحسن حظ مقبل

•••

فيا للجوارى النفسات وحسها  
طوائر بين الماء والجو عوما  
إذا نشرت في الجو اجنحة لها  
رأيت به رومنا وتورا مكما

•••

ذات هذب من المجاذيف حاك  
هذب باك لدمعه إسعاد  
هم فوقها من البيض نار  
كل من أرسلت عليه رماد

•••

ملا الكفاة ظهورها وبطونها  
فأنت كما يأتي للحاب الغدق  
عجا لها ما رخت قبل رعاها  
أن يحمل الأسد الضواري زورق

•••

زارت زئير الأسد وهي صوامت  
وزحفت زحف مواكب في زورق

•••

ترمي بروج أن ظهرت لمدو غرقه بطنا  
وبنقط ابيض تحسبه ماء وبه تذكى السكنا (١)

•••

وما زالت الاساطيل تلعب كأنها في سوح القتال،

(١) البيتان من ابيات لابن حديس مدح بها ابا يحيى الحسن

بن علي بن يحيى يقول فيها

انشأت شواني طائفة وبنيت على ماء مدنا  
بيروج قتال تحسبها في شم شواحقها قننا

من لدن ذوق قرن الشمس الى أن جاء وقت الزوال

• • •

وهنا يجمل بنا أن نجمل لك القول على أنواع السفن  
التي يتألف منها الاسطول الاندلي وعددها وآلاتها<sup>(١)</sup>  
فن تلك الاساطيل نوع يقال له « الشواني » جمع الشونة أو  
الشيني كما مر بك آنفا - وهي اجفان حربية كبيرة تقام فيها  
الابراج والقلاع للدفاع والمهجوم - وارجها ذات طبقات  
مربعة - فالطبقة العليا منها تقف فيها الجنود المسلحة بالنسي

ترمي بروج - البيتين -

وبدها

ضمن التوفيق لها ظفرا من هلك عدائك ماضمنا  
وقوله محرقه هكذا فرأناها بالغاء المعجزة ولعل الصواب  
محرقه بالغاء اي ان ظهرت هذه البروج لعدو في حال احراقها  
قتل في التو والحيلة لان ممّي بطنا اصيب في بطنه يريد مقتله  
والسكن النار وتذكي تشعل

(١) راجعنا فيما راجعناه في ذلك رسالة لصديقنا الفاضل

عبد الفتاح افندي عباد

والسهم - وفي الطبقة السفلى الملاحون الذين يجذفون بنحو  
من مائة مجذاف ، ويتراوح ما تحمله الشونة من المقاتلة  
ما بين المائة والخمسين وبين المائتين - وتجهز الشواني وقت  
الحرب بالسلح والنفطية والازودة بآلة الجنود البحرية .  
ومن أنواع الأسطول نوع يعرف « بالبوارج » جمع البارجة  
وهو اكبر من الشواني - ومثله نوع يقال له المسطحات -  
ومن هذه الاساطيل نوع يقال له « الحراقات » جمع الحرافة  
وهي مواكب حربية كبيرة قرابة الشواني بيدان هذه  
تمايز عن تلك بالمنجنيفات وتلك عن هذه بالقلاع . فترام  
يحملون في الحرافة مكاحل البارود والعرادات والمنجنيفات<sup>(١)</sup>

---

( ١ ) مكاحل البارود هي المدافع التي يرمى عنها بالنفط  
وعالها تتنوع فبعض يرمى عنه بأسهم عظام تكاد تحرق الحجر  
وبعض يرمى عنه يبتدق من حديد زنة عشرة ارطال وزنة مائة  
والعرادات جمع عرادة وهي آلة تصغر عن المنجنيق ترمى بالحجارة  
او السهام المرمى البعيد وبقدور النفط او المقارب وما اليها .  
والمنجنيق آلة من خشب لها دفتان فيأخذان بيدهما سهم طويل رأسه

يرمى بها النقط المستعمل على الاعداء - وهم يعملون الحرافة  
في صورة الاسد وفي صورة الفيل وفي صورة العقاب وفي  
صورة الحية وفي صورة الفرس كذلك الحرافات التي كانت  
للامين بن رشيد . والتي يقول فيها الحسن بن هاني .

سخر الله للامين مضايا

لم تسخر لصاحب انحراب

فاذا ما ركابه سرت برا

سار في الماء راكباً ليت غاب

أسداً باسطاً ذراعيه يمدو

اهرت الشدق كالخ الانياب

لايمانيه بالجسام ولا السو

ط ولا غمز دجله في الركاب

ثقل وذنبه خفيف وقبه تجمل كفة المنجنيق التي يوضع فيها الحجر  
يجذب حتى ترتفع اسافله على اعاليه ثم يرسل فيرتفع ذنبه الذي  
فيه الكفة فيخرج الحجر او النقط منه فيصيب شيئاً الا تصف  
به عصفاً

عجب الناس إذ رأوه على صو  
رة لبث يمر مر السحاب  
إلى أن قال يصف هذه المطايا  
تسبق الطير في السباح إذا ما  
استعجلوها بحينة وذهب  
ذات سور ومنصر وجناحين  
م تشق العباب بعد العباب  
وكحفاة طاهرين الحسين التي يقول فيها بعض الشعراء  
عجبت لحفاة ابن الحسين  
م - لا غرفت - كيف لا تفرق  
وبحران من فوقها واحد  
وآخر من نخبها مطبق  
وأعجب من ذلك أعوادها  
وقد مسها كيف لا تورق



أما الطرائد<sup>(١)</sup> فهي السفن التي تحمل الخيل للاستطول،  
 وأكثر ما يكون فيها أربعون فرساً - والقراقير<sup>(٢)</sup> - فهي  
 السفن الكبيرة التي تحمل الزاد والسكران والمقاع - والفلائك  
 والقوارب والشنديات<sup>(٣)</sup> فهي من أنواع الاستطول كالطرائد  
 والقراقير

أما عدد الاساطيل وآلاتها ومعداتها واسلحتها فهي  
 الرماح والمصي والنراس والزرز والدرق والخوذات الجنيفات  
 والعراصات

وقد رأيت الاندلسيين يستعملون في حروبهم البحرية  
 النار اليونانية، وهي مزيج من الكبريت وبعض الراتنجات

(١) جمع طريدة وقد اخذ الاسبان يون هذا الاسم فقالوا  
 Taridido وقال الطليان Tartana وقال الفرنسيون Tartan  
 (٢) جمع قرقور وهي المسماة اليوم كراكه اخذناها من  
 الافرنج بعد ان اخذوها من (٣) اخذها الروس فقالوا  
 Schelando والطليان فقالوا Scialando والفرنسيون فقالوا  
 Chaland

والادهان في شكل سائل يطلقونه من اسطوانة نحاسية  
مستطيلة يشدونها في مقدم السفينة فيقذفون منها السائل  
مشتعلا أو بطاقونه بشكل كرات مشتعلة أو قطع من  
الكتان الملتوت بالنفط فيقع على السفن فيحرقها حرقاً ،  
ومن غريب هذه النار انها تشتعل في الماء والهواء كالنفط  
— وقد رأيتهم كذلك يستظهرون بالبارود الذي يسمونه  
«التلج الهندي» — ونحن فلم نسمع بأمة من الامم اهتمت  
الى هذا «التلج الهندي» قبلهم <sup>(١)</sup> — ذلك الى ممدات أخرى  
لا اظنهم قد سبقوا اليها ، ارايتها الامير ابن دماحس في

(١) قال كورندي المستشرق الاسباني : ان المعروف ان  
العرب استعملوا البارود سنة ٩٠٦ وهم الذين نقلوه الى الاندلس  
ومنها اخذه الافرنج — قال : وقد استعمله العرب في محاصرهم  
جزيرة صقلية سنة ٦٧٢ هجرية وفي محاربة الاسبانيين سنة  
١٢٤٩ م واستخدمه صاحب غرناطة في حصار باجة ثم نقله من  
العرب في القرن الثالث عشر روجر باكون الانكليزي وغيره  
من الكياويين وأول ما استخدمه الفرنج في واقعة كريمة سنة  
١٣٤٦ وانها منحة عظيمة فتحها العرب للأوربيين

الشوة التي كنا نشاهد منها حركات الاسطول . مثل  
التوايت المعلقة فوق البروج . وهي صناديق كبيرة مفتوحة  
من أعلاها . يصب إليها الرجال قبل استقبال العدو فيقيمون  
فيها للاستكشاف ومعهم حجارة صغيرة في مخلاة معلقة  
بجانب الصندوق فيرمون العدو بها وهم يختبئون في هذه  
الصناديق ، ومعهم عدا الحجارة فوارير النفط وجرار النورة  
وهي مسحوق ناعم مؤلف من الكاس والزرنيخ يرمون  
به الاعداء في مراكيهم فتعنى ابصارهم بفبارها وقد تلتب  
فيهم التهابا . وقد رأيتهم وهم يرمونهم ايضا بقذورات الحيات  
والعقارب وقذورات الصابون اللين كي يزلقوا أقدامهم -  
ومن حيلهم التي يتخذونها وقاء ضد من اعدائهم انهم يحيطون  
المراكب بالجلود أو اللبود المبلولة بالخل والماء أو الشب  
والنظرون كي لا يعمل النفط فيها فداه - ومن حيلهم انهم  
يحملون في مقدم المركب هنة كالفأس يسمونها الاجام ،  
وهي حديدة طويلة محددة الرأس وأسفلها مجوف كسنان  
الرمح تدخل من أسفلها في خشبة كالقناة بارزة في مقدم

المركب يقال لها «الاسطام» فيصير الاجام كأنه سنان ومع  
بارز في مقدم المركب فيقطعون مركب العدو به فلا يابث  
حتى ينحرق فينصب فيه الماء فيفرق - ومن تلك الحيل انهم  
اذا جن الليل لا يشعلون في امراكبهم نارا ولا يتركون فيها  
ديكا وقد يسدلون على المراكب قلوعا زرقاء : فلا يرى العدو  
مراكبهم التي يشبه لون الماء أو السماء : فيبحان الماهم  
من يشاء ما يشاء ، ويخلق ما لا ينامون لا اله غيره :

\*\*\*

أما رئاسة الاساطيل فقد جعلوا على كل اسطول  
قائدا ورئيسا فالفائد يدير أمر سلاحه وحربه ومقاتلته ،  
والرئيس يدير أمر جريه بالريح أو الخوازيق ومعرفة ممالك  
البحر وطرفه بواسطة الرهناءج<sup>(١)</sup> وبيت الابرة التي هي  
من مبتكراتهم ولم يستعملوها سابقا فيما علمنا . أما النظر  
في الاساطيل كلها فيرجع الى امير واحد من أعلى طبقات

---

(١) الرهناءج كتاب الطريق وهو الكتاب الذي يسلك  
به الربانية البحر ويهتدون به في معرفة المراسي وغيرها

المملكة يافيقية أمير البحر أو أمير الماء

\*\*\*

وبعد أن أقمتنا في المارية ثلاثة أيام بلياليها تحملنا منها في  
ركب نفم نبيل موف على القاية ، في الابهة والروعة والجلال ،  
فاصدين الى قرطبة حضرة هذه البلاد ، وكان في طليعة  
الركب أمير البحر عبدالرحمن بن رماحس . إذ أمره سيدي  
الحكم بن أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر ووفى عهده كما  
اسلفنا أن يتلقانا في وفد من وجوه الاندلسيين ونجى معنا  
الى قرطبة مهالفة من الأمير حفظه الله في الاحتفاء بنا  
وبأبي على القالي البغدادي وبأبي عبيد الله الصقلي الفياسوف  
الذي وصل الى المارية قبل انفصالنا عنها . وكان في الركب  
من الاندلسيين الرمادي الشاعر وأبو بكر بن القوطية  
وأبو بكر الزبيدي وكثير من أدباء الاندلس واعيانها :

\*\*\*

وقد بهرنا وسحر اعيتنا وملك علينا الباذا مارأينا في  
طريقنا من استبحار للممران في هذا القطر الاندلسي : فقد

كنا نمر في اليوم الواحد بثلاث مدن وأربع - وفي حينما سرنا  
نرى الحوانيت - في الأودية ورؤوس الجبال - لبيع الخبز  
والقواكه والخبز واللحم والحوت وما إلى ذلك من ضروب  
الاطعمة - وكنا نتمر نعتراً بالجداول والأنهار - تحفها  
البساتين ومنوف الزرع والنجوم والأشجار ، حتى لعائننا أنه  
ليس في هذه البلاد صحراء مقفرة - أو أرض غامرة .

يا أهل أندلس الله دركم

ماء وظل وأنهار وأشجار

ما جنة الخلد إلا في دياركم

ولو تخيرت هذا كنت اختار

لا تختشوا بعد الآن تدخلوا سفرا

فليس تدخل بعد الجنة النار

أما القرى والمعافل والحصون فإنها لا تحصى كثرة ، وقراها

جميلة لتأنق أهلها في أوضاعها وتبييضها لكلاً تنيو المين عنها

لاحت قراها بين خضرة أيكها

كالدر بين زبرجد مكنون

وأكثر مدنها مسور من أجل الاستعداد للمدو ،  
وفي مدنها لذلك ما يبقى في محاربة المدو ما يبقى على عشرين  
سنة ، لا متاع مما قلها ودربة أهلها على الحرب .

• • •

وكنّا في طريقنا نتذاكر الأدب وتتناشد الأسماء  
ونخوض في ضروب من الحديث لا عابثا إذا نحن أوردنا  
شيئا منها في هذه الرسالة . فمن ذلك أن أبا علي قال من كلمة  
له : لما مررت بالفيروان - وأنا اعتبر من أمر به من أهل  
الأمصار فأجدتهم درجات في العبارات وفلة الفهم بحسب  
تفاوتهم في مواضعهم منها بالقرب والبعد كان منازلهم من  
العلم محاسبة ومقايضة ، فقلت إن نفس أهل الاندلس عن  
مقادير ما رأيت في أفهامهم بقدر نقصان هؤلاء ممن قبلهم  
فأحتاج إلى ترجيح في هذه الأوطان ، واسكن لما جئت  
إلى هنا فضيت بحيا من أهل هذا الأفق الاندلسي في  
ذكائبه <sup>(١)</sup> . ومن ثم كنا نراه <sup>(٢)</sup> يتفطى عن الاندلسيين  
( ١ ) هذه الكلمة هي لابن علي القالي بنصها ( ٢ ) أي القالي

عند المباحثة والمناظرة ويقول لهم : إن علمي علم رواية  
وليس علم دراية . فخذوا عني ما تعلمت فلم آل لكم أن  
صحت (١) ، ثم فرط منه قول ذهب فيه إلى تفصيل  
شعراء المشرق على شعراء المغرب ، فانتدب له أحد الأدباء  
تمن كانوا في هذا الركب وقال : إن أهل الأندلس أشعر  
الناس فيها كثرة الله تعالى في بلادهم وجعله نصب أعينهم  
من الأشجار والأنهار والطيور والكؤوس . لا يثأرهم  
أحد في هذا الشأن . أما إذا هب نسيم ، ودار كأس في  
كف ظبي رخيم . ورجع بيم وزير (٢) وصفق للماء خريز ،  
أوردت العشي . وخلعت الحب أرادها الفضية والذهبية ،  
أو تبسم عن شعاع نهر . أو تفرق بتطل جفن زهر ،  
أو خفق بارق . أو وصل طيف طارق ، أو وعد حبيب فزار  
من الظلمة تحت جناح ، وبات مع من بهواء كالماء والراح ،  
إلى أن ودع حين أقبل رائد الصباح . أو أزهرت دوحة

( ١ ) وهذه كذلك لتعالى ( ٢ ) الزبر هو أسفل اوتار

العود والذي يليه منى والذي يليه ثلث والذي يليه بم



السما يزهر كواكبها . أوقومت عند فيض نهر الصباح  
بيض مضاربها ، فأولئك هم السابقون السابقون . الذين  
لا يجارون ولا يحقون . وأيسوا بالمفصرين في الوصف إذا  
تعمقت السلاح . وسالت خاجان العوارم بين قضبان  
الرياح ، وبنت الحرب من المعاج سماء ، وأطلعت شبه  
النجوم اسنة واجرت شبه الشفق دماء ، وبأجلة فلهم في  
جميع الاوصاف والتخيالات اثمة ، ومن وقف على اشعارهم  
في هذا الشأن قضاه فيه على اصناف الامة ، فقال ابو علي (١)  
نعم وفي الحق ما تقول يبد ان شعراء المشرق فضلا ان  
شعرهم اصفى ديباجة . واكثر ماء وطلاوة . واسد مسلكا

(١) كل ما وضع على لسان أبي علي وأبي عبد الله الصقل  
لأصل تاريخي له وإنما هذا الموضوع برمته هو من وضعنا وقد  
زورناه تزويرا لم تسبق فيما نطن اليه ولعلنا قاربنا الحقيقة في  
هذه المفاضلة بين شعر المشاركة وشعر الاندلسيين على اننا لم نر  
لاحد قبلنا كلاما في هذا المعنى وسنوفيه حقه في الكلام على  
شعراء الاندلس في الرسالة الرابعة من هذه الرسائل

واوضح منهجا ، واشكل في مبتاه بالشعر القديم حتى لا يكاد  
يشذ عنه قيد شعرة ، وفضلا انه في الاعم الاغاب رصين  
متناسك جزل قوي غير مهلهل النسيج - تراجم مع ذلك ذهبوا به  
كل مذهب من القول ، واغتنوا في مناحيه اياما افتنان ،  
وغاصوا على المعاني غوصا حتى بلغوا في ذلك المبالغ ، ووصلوا  
الى الغاية التي لا وراءها - وانى لا اظن ان لعلي بن المياس  
الروى او بشار بن برد او ابى نواس اشباها ونظائر في هذه  
البلاد ، على انى مع ذلك لست انكر على الاندلسيين ذكاهم  
وتقدمهم - وانهم - كما رأيت وكما وصفوا الى - عرب في العزة  
والانفة وعلو الهمة وفصاحة الالسن واباء الضيم والسماحة  
بما في ايديهم والزاهة عن الخضوع والاستخدام - هندیون  
في قرط عنایتهم بالعلوم ورغبتهم فيما او ضبطهم له - بغداديون  
في نظامتهم وظرفهم ورقة اخلافهم وذكايتهم وجودة قرائحهم  
ولطافة اذهانهم ونفوذ خواطرهم - يونانيون في استنباطهم  
للغياه ومعاناتهم لضروب القرامات واختيارهم لاجناس  
الفواكه وتديرهم تركيب الشجر وتحسينهم للبانين بانواع

الخضر وصنوف الزهر - صينيون في اتقان الصنائع العملية  
وإحكام المهن الصورية - تركيون في معاناة الحروب  
والحدق بالفروسية والبصر بالطعن والضرب »

كبرت حول ديارهم لما بدت

منها الشمس وأمس فيها الشرق

• • •

ولو أبصروا لبلى أقروا بحسنها

وقالوا بأني في الشفاء مقصر

وهنا أنبث أبو عبد الله العقلي الفيلسوف وقال  
ماتلغيصه ، الذي أراه أن شمراء كل قطر من الاقطار  
او جيل من الاجيال لابد من أن يتأثروا بالمحيط الذي يحيط  
بهم ، وان يصطبغ شعرهم بصبغة مابرون وبحسون من  
حولهم ، فالشاعر الجاهل او المتبدري في الجاهلية والاسلام  
الذي لا تنفع عينه الاعلى صحراء مقفرة ، اوسماء ماطرة ،  
او وحش كاسر ، او غزال نافر ، لم يرديفا ، ولم تنفذه رقة الخضر  
ولم يتبع من طعام ، قد خالط الغيلان ، وانس بالجان ،

وأوى القفر واليراييح والظباء ، فانه حرى ان لا يقول  
الا فى جنس ما هو بسيله من وصف البيد والمهامه والظبي  
والظليم والتافة والجمل وما الى ذلك ، فى قول موق مشرق  
واضح الطريفة لا نعمل فيه ولا كافة ، يوائهم امزجهم  
وطبائهم ، ويلائم المحيط الذى فيه عاشوا ، والجو الذى فيه  
درجوا ، والفطرة الاولى التى فطروا عليها ، والسذاجة التى  
هى من خاص صفاتهم ، وقد يكون لهم مع ذلك الحكمة  
البارعة ، والكلمة الرائعة ، والمثل السائر ، والوعظة الحسنة ،  
مما يهرا عرق المتحضرين ويصيب منهم انهي غايات  
الاعجاب والاكبار ، ولكنه الوحى والالهام الذى نالهم  
الفطرة القوية النقية البريئة ، ويؤتي الطبيعة الكريمة  
ما يؤتي سوار هوا ، وليس هو بنتاج العقل المسحوق ولا بمار  
المسكات الكسبية .

« وبعد » فاما للولدون وهم الذين تصح المفاضلة بينهم  
وبين شعراء الغرب لانهم جميعا محضروا وعاشوا فى رونق  
النعم واعتكوا بالدنيا واعتكرت بهم فالراى عندى ان يقال

ان الشعر لفظ ومعنى قاما اللفظ فان شعراء المشرق لان  
اكثرهم جاور الاعراب واهل البادية ولفنوا اللغة منهم  
والتصقوا بهم ونشؤوا في احضانهم وغذوا بلبانهم ترى لهم  
الالفاظ المتخيرة ، والديباجة السكرية ، والطبع المتمكن  
والسبك الجيد وكل كلام له ماء ورونق ، وترى شعراء مصرنا  
متسقا على استواء واحد لا يتدافع من جهانه ولا يتعارض  
من جوانبه ولا يجمع ولا يشتط ولا يأتيه الضعف والهلالة  
والاسترخاء من اية ناحية من نواحيه : واما المعنى فان غفلة  
شعراء المشرق الذين افتنوا في المعاني افتنانا وغاصوا عليها  
وامعنوا حتى تلفروا بكل معنى عجيب يمر الصدر ويذكي  
الروح ويشع في دني العقل فتنبج له ظلمته وتير نواحيه  
وتفتتح مغالقه مثل بشار بن برد وابي نواس وابن الرومي  
وهذه الطبقة فهم انما باغوا هذه الدرجة لانهم من الموالي  
ابناء تلك الامم الجراء الذين اتمرسوا بالحضارة قبل العرب  
امتراسا وعالجوها وعالجتهم وداوروا صنوقها من الصناعات  
والعلوم وما اليها وصرفوا فيها اعنة الفكر وقدحوا لها

زناد الرأي. وهلم حتى أننى ذلك على كثر الفداة ومرة العشي  
عقولهم، وشهد اذهانهم واذكى ارواحهم وأكسبهم ملكات  
عقربية عجيبة، فورت ذلك منهم ابتاؤهم وانحدروا مع دماهم  
وكان منهم هذا النبوع الذى نرى آثاره في السلام.

وما كاد أبو عبيد الله يتم فوائده تلك حتى صاح أبو بكر  
ابن القوامية وقال أشيخنا شعوبى<sup>(١)</sup>، فقال أبو عبد الله

(١) أى على مذهب الشعوبية والشعوبية. ويسمون أنفسهم  
أهل العدل والتسوية. يذهبون إلى أن الناس كلهم سواء وأن ليس  
شعب أفضل من شعب وأن لا فصل للحرب على غيرهم واذ أبى  
العرب إلا الذهاب إلى أنهم أفضل من غيرهم ذهبوا هم كل مذهب  
في الطعن على العرب وتنقصهم وألصقوا بهم كل طاب ومنقصة  
ولعل هذا قد نشأ بآدى ذى بدء من اعتقار العرب هذه الأمم  
الحرارة من الأماجم ومن إليهم اذ كان العرب هم السادة وذوى الملكة  
والسلطان وكانت هذه الأمم عبيداً لهم وموالي أو مستظلين  
برأيهم مستعمرين لهم، ونحن نورد هنا نبذاً من مذاخرات الفريقين  
ومحاوراتهم وتطعنهم بعضهم على بعض لانه معنى مستلذ فاضلاً أنه  
ليس يحلو من قائدة. فنقول العرب أو المتعصبين للعرب على

المعجم - ويراد بالمعجم كل من ليس بعربي - فمن قولهم : لو لم يكن  
 منا على المولى عنافة ولا احسان الا استنقاذنا له من الكفر  
 واخراجنا له من دار الشرك الى دار الايمان كما في الاثر ان قوماً  
 يقادون الى حظوظهم بالسواجير \* جمع ساجور وهو القلادة أو  
 الخشبة التي توضع في عنق الكلب \* وكذلك جاء في الاثر :  
 عجب ربنا من قوم يقادون الى الجنة في السلاسل : على أن  
 تعرضنا لقتل فيهم ، فن أعظم عليك . ممة ممن قتل نفسه لحبائلك  
 قاله امرنا بقتالكم وفرض علينا جهادكم ورجبنا في مكانتكم  
 \* الحكاية أن يكاتب الرجل عبده أو أمته على مال ينجمه « بقسطه »  
 عليه ويكتب عليه انه اذا أدى نجومه \* اقسامه \* في كل نجم  
 كذا وكذا فهو حر فاذا أدى جميع ما كاتبه عليه فقد عتق وولاؤه  
 لمولاه الذي كاتبه وذلك أن مولاه سرقه كسبه الذي هو في الاصل  
 لمولاه \* وقدم نافع بن جبير بن مطعم رجلاً من الموالى يعمل به  
 فقالوا له في ذلك فقال انما أردت أن اتواضع لله بالصلاة خلفه .  
 وكان نافع هذا اذا مرت به جنازة قال من هذا فاذا قالوا قرشي  
 قال واقومه واذا قالوا عربي قال وابلدنا واذا قالوا مولى قال  
 هو مال الله يأخذ ما يشاء ويدع ما يشاء . . وكانوا لا يكتنونهم  
 بالكنى ولا يدعونهم الا بالاعمام واللقاب ولا يدعونهم يصلون

على الجنائز اذا حضر أحد من العرب وان كان الذي يحضر غريباً .  
وروي أن عامر بن عبد القيس في نسكه وزهده وتقشفه وعبادته  
كلمه حمران مولى عثمان بن عفان عند عباده بن عامر صاحب العراق  
في تشجيع عامر على عثمان وطعنه عليه فأنكر ذلك فقال له حمران  
لا أكثر الله فينا مثلك فقال له عامر بل أكثر الله فينا مثلك فقبل  
له أيدعمر عليك وتدعو له قال نعم يكسحون طرقنا ويحجزون  
خفافنا ويحرقون ثيابنا فاستوى ابن عامر جالساً وكان منكشاً فقال  
ما كنت اظنك تعرف هذا الباب لفضلك وزهادتك فقال ليس  
كل ما ظننت اني لأعرفه لأعرفه . وروي أن اعرابياً من بني النهر  
دخل على سوار القاضي فقال أن أبي مات وتركني وأخاً لي وخط  
خطين ثم قال ومجئنا ثم خط خطأ ناحية فكيف يقسم المال فقال  
له سوار ههنا واوث غيركم قال لا قال فمال مال بينكم أنلانا قال  
ما أحسبك فهمت عني ، انه تركني وأخي ومجئنا فكيف يأخذ  
الهمجين كما أخذ أنا وكما يأخذ أخي قال أجل فتضب الاعرابي .  
ومن قول الشعوبية : اخبرونا ان قالت لكم المعجم هل يمدون  
القمصر كله أن يكون ملكاً أو نبوة فانزعجت انه ملك قالت لكم  
وان لنا ملوك الارض كلها من القراغنة والماردة والهاققة والاكاسرة  
والقياسرة وهل ينبغي لأحد أن يكون له مثل ملك سليمان الذي



سخرت له الانس والجن والطيور والريح وانما هو رجل منا، أم هل  
كان لاحد مثل ملك الاسكندر الذي ملك الارض كلها وبلغ مطلع  
الشمس ومغربها، وكيف ومنا ملوك الهند، وان زعمهم انه لا يكون  
للمنكر الا بقبولة فان منا الانبياء والمرسلين قاطبة من لدن آدم  
ما خلا اربعة هوداً وصالحاً واسماعيل ومحمداً ومنا المصطفون  
من العالمين آدم ونوح وهما المنصران اللذان تفرع منهما البشر  
فمنهم الاصل وانتم التفرع وانما انتم غصن من أغصاننا فقولوا  
بمد هذا ما نشتم وادعوا . ولم نزل للامم كلها من الامم في كل  
شق من الارض ملوك تجمعها ومدائن تضمها واحكام تدب بها  
وفلسفة تنتجها وبدائع تفتقها في الادوات والصناعات مثل صناعة  
الديباج وهي ابداع صنعة واسب الشطرنج وهي اشرف لعبة ومثل  
فلسفة الروم وما اليها وما كان للعرب ملك يجمع سوادها ويضم  
قواصمها ويقمع ظالمها وينهي سفيهاها، ولا كان لها فطنت في صناعة  
ولا أثر في فلسفة الا ما كان من الشعر وقد شاركتها فيه المعجم  
وذلك أن للروم اشعاراً عجيبة قائمة الوزن والمروض وكذلك  
الخطابة فلها شيء في جميع الامم وبكل الاجيال اليه أعظم  
الحاجة حتى ان الرنج - مع الفتارة ومع فرط الفباوة ومع كلال  
الحمد وغلاظ الحس وفساد المزاج - لتطيل الخطب وتفوق في ذلك

جميع المعجم وان كانت معانيها أجفى وأغلف وألفظها أخطأ  
وأجهل. وقد علمنا أن أخطب الناس الفرس وأخطب الفرس أهل  
فرس وأعذبهم كلاماً وأسهم مخرجاً وأحسنهم أداءً وأشدهم  
فيه تحسكاً أهل مرو. ومن أحب أن يبلغ في صناعة البلاغة  
ويعرف الغريب ويتبحر في اللغة فليقرأ كتاب كاروند ومن احتاج  
إلى المقل والأدب والعلم بالمراتب والعبر والمثلثات والألفاظ  
الحكرية والمعاني الشريفة فليتنظر إلى سير الملوك، فهذه الفرس  
ورسائلها وخطبها وألفظها ومعانيها، وهذه يونان ورسائلها وخطبها  
وعلاها وحكمها، وهذه كتبها في المنطق التي قد جعلتها الحكماء  
بها تعرف السقم من الصحة والخطأ من الصواب. وهذه كتب  
الهند في حكمها وأسرارها وسيرها وعلاها فمن قرأ هذه الكتب  
عرف غور تلك المقول وغرائب تلك الحكم وعرف أين البيان  
والبلاغة وأين تكاملت تلك الصناعة

قال الجاحظ ينضح عن العرب: أما الهند فإن لهم معاني  
مدونة وكتب مجلدة لا تضاف إلى رجل معروف ولا إلى عالم  
موصوف وإنما هي كتب متوارثة وآداب على وجه الأرض  
سائرة مذكورة

ولليونانيين فلسفة وصناعة متطق، وكان صاحب المنطق نفسه

بكيه اللسان ، غير موصوف بالبيان ، مع علمه بتميز الكلام  
وتفصيله ومعانيه ، وبجملته ، وهم يزعمون أن جالينوس كان  
أنطق للناس ، ولم يذكره بالخطابة ولا بهذا الجنس من البلاغة  
وفي القرس خطباء الا أن كل كلام قرس وكل معنى للمعجم  
فانما هو من طول فـكرة ، وعن اجتهاد وخلوة ، وعن مشاورة  
ومعاونة ، وعن طول التفكير ودراسة الكتب ، وحكاية الثاني  
علم الاول ، وزيادة الثالث في علم الثاني . حتى اجتمعت تمام تلك  
الفكر عند آخرهم

وكل شيء للعرب فانما هو بدية وارتيال ، وكأنه الهيام ،  
وليست هناك معاناة ولا مكابدة ، ولا اجالة فـكرة ، ولا استماعة  
وانما هو أن يصرف وهمه الى الكلام ، والى رجز يوم الخصاص ،  
أو حين أن يمتح على رأس بشر ، أو يحدو ببعير ، أو عند المقارعة  
والمنافلة ، أو عند صراع ، أو في حرب ، فانما هو الا أن يصرف  
وهمه الى جملة المذهب ، والى العدو الذي اليه يقصد ، فتأتيه  
المعاني أرسالا ، وتفتال عليه الالتفات انشيا لا : ثم لا يقبده على  
نفسه ولا يدرسه أحدا من ولده . وكانوا أميين لا يكتبون  
ومطبوعين لا يتكفون . وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر  
وهم عليه أقدر وأفهر . وكل واحد في نفسه أنطق : ومكانه من

البيان أرفع . وخطباؤهم أوجز ، والكلام عليهم أسهل . وهو عليهم أيسر من أن يفقهوا إلى تحفظ أو يحتاجوا إلى تدارس . وليس هم ممن حفظ علم غيره ، واحتذى على كلام من كان قبله فلم يحفظوا إلا ما خلق بقلوبهم ، والنعم بصدورهم ، وانصل بمقولهم . من غير تكلف ولا قصد ولا تحفظ ولا طلب . وإن شيئاً الذي في أيدينا جزء منه لبالمقدار الذي لا يملكه إلا من أحاط بنظر السحاب . وعدد التراب ، وهو الله الذي يحيط بما كان ، والعالم بما سيكون .

ونحن أبقاك الله إذا ادعينا للمرب أصناف البلاغة من القصيد والارجاز ، ومن المنثور والاسجاع ؛ ومن المزدوج ومالا يزودج ؛ فمننا العلم على أن ذلك لهم شاهد صادق من الديباجة الكريمة ، والرونق المعجيب ، والسيك والنعت الذي لا يستطيع أشعر الناس اليوم ولا أرفعهم في البيان أن يقول مثل ذلك إلا في اليسير والنبذ القليل . ونحن لا نستطيع أن نعلم أن الرسائل التي في أيدي الناس للقرس أنها صحيحة غير مصنوعة ، وقديمة غير مولدة ، إذا كان مثل ابن المقفع وسهل بن هرون وأبي عبيد الله وعبد الحميد وغيلان وفلان وفلان لا يستطيعون أن يولدوا مثل تلك الرسائل ويصنعوا مثل تلك السير . وأخرى أنك متى أخذت بيد الشعبي فأدخلته بلاد الأعراب الخالص ، ومعدن

إني وإن كنت لا أرى لمرئي فضلا على عجمي إلا بالتقوي  
وإن تفاضل الناس فيما بينهم ليس بأبائهم ولا بأحسابهم  
ولكنه بأفعالهم وأخلاقهم وشرف أنفسهم وبعد همومهم ،  
فمن كان دنى الهمة ساقط المروءة لم يشرف وإن كان من  
الفصاحة الزامة ، ووقفته على شاعر مفاخر ، أو خطيب مطمع ،  
علم أن الذي قلت هو الحق ، وأبصر الشاعد عياناً ، فهذا فرق  
ما بيننا وبينهم

فنفهم على فهمك أنه ما أمانا غائل في هذا . واعلم أنك لم تر  
فوما قط أشقى من هؤلاء الشموية ، ولا أعدي على دينه ، ولا  
أشد استهلاكاً لمرضه ، ولا أطول نصيباً ، ولا أقل غنا . من أهل  
هذه النحلة . وقد شفي الصدور منهم طول جثوم الحسد على  
أكبادهم ، وتوقد نار الشقاق في قلوبهم ، وغلبان تلك المراحل  
الفاخرة ، وأسمر تلك النيران المضطربة . ولو عرفوا أخلاق كل  
ملة ، ورزى كل لغة ، وعلمهم في اختلاف ألسنتهم وآلاتهم ،  
وشبائلهم وهياكلهم ، وما علة كل شيء من ذلك ، ولم يختلفوه ولم  
تختلفوه ، لأراحوا أنفسهم ، وتحققت مؤنتهم على من خاطبهم .  
أه ملخصاً من العقد والبيان والتبيين . ويظهر أن هؤلاء الشموية  
نجحت أوائل الدولة العباسية وإن كانت جبروتها أقدم من ذلك .

بنى هاشم في ذؤابتها، ومن أمية في ارومتها، وقيس في  
اشرف بطن منها. ومن ثم يقول الله جل شأنه ان اكرمكم  
عند الله اتقاكم. ويقول رسول الله في خطبة الوداع: أيها الناس  
إن الله اذهب عنكم نخوة الجاهلية ونفرها بالآباء. كلكم  
لآدم وآدم من تراب، ليس لعربي على عجمي فضل الا بالتقوى  
فاني مع هذا أقول ما قاله ابن المقفع - وقد سأل جماعة من  
أشراف العرب - أي الامم أعقل، فنظر بعضهم إلى بعض  
وقالوا امله أراد أصله من فارس - فقالوا فارس، فقال ليسوا  
بذلك، انهم ملأوا كثير أمن الارض، ووجدوا عظيمامن  
الملك. وغلبوا على كثير من الخلق. وليت فيهم عقد الامر  
فما استنبطوا شيئا بعقولهم ولا ابتدعوا باق حاكم في  
نفسهم، قالوا فالروم: قال اصحاب صنعة قالوا فالصين قال  
اصحاب طرفة. قالوا الهند، قال اصحاب فلسفة: قالوا السودان  
قال شر خلق الله، قالوا الخزر قال بفر ساعة، قالوا فقل قال  
العرب - فضحكوا - فقال ه أما اني ما اردت موافقتكم  
ولكن اذفاني حظي من النسبة فلن يفوتني حظي من المعرفة

ان العرب حكمت على غير مثال متل لها . ولا آثار اثرت  
اصحاب ابل وغنم ، وسكان شمر وأدم ، بجود اقدم يقوته  
ويتفضل بجهوده ، ويشارك في مسوره ومسوره ،  
ويصب النبي ، بعقله فيكون قدوة ، وبفعله فيصير حجة ،  
ويحسن ما يشاء فيحسن ، ويقبح ما يشاء فيقبح ، أدبهم  
نفوسهم ، ورفعتهم همهم ، واعلمتهم قلوبهم ، وأستهم ، فلم  
يزل حياء الله فيهم وحبائهم في انفسهم ، حتى رفع لهم الفخر  
وبلغهم اشرف الذكر ، وختم لهم بتاسكهم الدنيا على الدهر  
وافتتح دينه وخلافته بهم إلى الخسر : على الخير فيهم ولهم  
فقال ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة  
للمتقين . فان وضع حقهم خسر . ومن انكر فضلهم خسر  
ودفع الحق بالاساذ . اكبت للجنان =

بيد أن العرب لم يكن لهم بادي ، ذي بدء دراية  
بالحرف والصناعات . وبالعلوم وتعلمها الذي هو في عداد  
الصناعات . وذلك لمكانهم من البداوة . ورسوخ اقدامهم  
فيها . ومن ثم كانت الشريعة الاسلامية - اذ كانت تقوم

أكثرهم أميين - تنافل في صدورهم - وجري الأمر على  
ذلك أزمان الصحابة والتابعين - فلما بعد القل من دولة  
الرشييد فذا بعد احتيج إلى وضع التفاسير القرآنية وتقييم  
الحديث مخافة ضياعه - ثم كثر استخراج أحكام الواقعات من  
الكتاب والسنة - وقد مع ذلك اللسان، فاحتيج إلى وضع  
القوانين النحوية، وصارت العلوم الإسلامية ذات مالحات  
محتاجة إلى التلميم فاندرجت في جملة الصنائع، وهو معلوم  
أن الصنائع من منتحل الحضرة - والعرب أبعد الناس عنها  
والحضر لذلك المهتم المعجم أو من في معناه من الموالي - فكان  
صاحب صناعة النحو سيبويه ثم الفارسي موت بعده ثم  
الزجاج، وكلامهم مجتم في أنسابهم، وكذا جملة الحديث وعلماء  
أصول الفقه وعلماء الكلام والمفسرون، وأكثر فقهاء الأمصار  
مثل الحسن بن أبي الحسن ومحمد بن سيرين فقيهي البصرة  
وعطاء بن أبي رباح ومجاهد وسعيد بن جبير وسليمان بن  
يسار فقهاء مكة وزيد بن أسلم ومحمد بن النكدر وناقم بن  
أبي نجيم فقهاء المدينة وربيعة الرأي وابن أبي الزناد فقهاء



قباة وطاوس وابن منبه فقيهي اليمن وعطاء بن عبيد الله  
فقيه خراسان ومكحول فقيه الشام والحكم بن عتيبة  
وعمار بن ابي سليمان فقيهي الكوفة وهلم ، وبالجملة لم  
يقم بحفظ العلم وتدوينه الا الاعاجم وظهر بذلك مصداق  
قوله صلى الله عليه وسلم لو فلق العلم باكتاف السماء لزاله  
قوم من أهل فارس ، واما العرب الذين ادركوا هذه  
الحضارة وسوقها وخرجوا اليها عن البداوة فقد شغلهم  
الرئاسة في الدولة وما دفعوا اليه من القيام بالملك عن القيام  
بالعلم والنظر فيه ، فانهم أهل الدولة وحاميتها واولوا سياستها  
مع ما ياحقهم من الانفة عن انتحال العلم بما صار من جملة  
الصنائع ، والرؤساء ابدأ يستكفون من الصنائع والمهن  
وما يجر اليها ، ودفعوا ذلك إلى من قام به من العجم والمولدين  
فكان اميراس المعجم من القديم القديم بالحضارة وما  
تستتبعه من العلوم والصنائع سببا في كبرهم وفطنتهم  
ونماء عقولهم ورجحان احلامهم وبران ممالكهم على

الاستنباط والتخريج والتماس الخيل وتوليد المعاني ، ومن ثم  
كان شعر الموالي متمازاً عن شعر العرب الافتتاح باستفتاح  
اغلاق المعاني الدقيقة العبقرية والافتنان فيها وتلوينها بكل  
لون ، وهاك شعر بشار وأبي نواس ومروان بن أبي حفصة  
وابن الرومي ومن اليهم من الشعراء الموالي تر الشاهد  
الصدق لما أقول ، وعرب الاندلس منذ فتحهم هذه البلاد  
إلى وقتنا هذا لا تزال نزعته عريضة في كل شيء حتى في  
شعرهم إلا ما اكتسبته إياه طبيعة بلادهم وخصوبتها ، فن  
نم كان فرق ما بين شعرهم وشعر المشارقة في الجملة

• • •

وبعد أن انتم أبو عبد الله كلامه أفضى بنا الحديث إلى  
ذكر الفزال الشاعر الاندلسي الظريف - وملحه ونوادره  
وهذا الفزال - كما أخبرنا ابن القوطية - هو يحيى بن حكم  
البكري الجياني الملقب بالفزال الجمال ، وقد كان في المائة الثالثة  
من بني بكر بن وائل ، وكان حكيمًا شاعرًا عرافًا ، وكان آية  
في الظرف وخفة الروح ، وجهه الأمير عبد الله بن الحسك

المرواني إلى ملك الروم فأعجبه حديثه وخف على قلبه وطلب  
منه أن يناديه فتأني ذلك واعتذر عنه بتحريم الخمر ، وكان  
يوماً جالساً معه وإذا بـزوجة الملك قد خرجت وعليها زينتها  
وهي كالشمس الطالعة حسناً فجعل الغزال لا يتبيل طرفه عنها  
وجعل الملك يحمدنه وهو لاه عن حديثه ، فانسكر ذلك عليه  
وأمر الترجان بسؤاله ، فقال له عرفه أني قد بهرتي من  
حسن الملكة ما قطعني عن حديثه فاني لم أر قط مثلاً وأخذ  
في وصفها والتعجب من جمالها وأنها شوقته إلى الخور العين  
فلما ذكر الترجان ذلك للملك تزايدت حظوته عنده ،  
وسرت الملكة بقوله وأمرت للترجان أن يسأله عن السبب  
الذي دعا المسلمين إلى الختان ونجشم المكروه فيه مع خلوه  
من الفائدة ، فقال للترجان عرفها أن فيه أكبر فائدة وذلك  
أن الحصن إذا زُهر قوى واشتد وغلف ، وما دام لا يفعل به  
ذلك فإنه يبقى رقيقاً ضعيفاً ، فضحكت واستظرفته ، ومن  
نوادره أنه أرسل مرة سفيراً إلى بلاد المجوس « اسوج  
ونروج » وقد قارب الخسيز ، وقد وخطه الشيب ، ولسكنه

كان مجتمع الأشد فسأته زوجة الملك يوماً عن سنه فقال  
مداعباً لها عشرون. فقالت وما هذا الشيب فقال وماتت كبرين  
من هذا. ألم ترى قط مهراً يذبح وهو أشهب. فأعجبت  
بقوله فقال في ذلك - واسم الملكة تود -

كأنت يا قلبي هوى متعباً  
غاليت منه الخيفم الاغلباً  
أني تطلعت بحوسية  
تأني لشمس الحسن أن تقربا  
افصى بلاد الله في حيث لا  
يلقي اليه ذاهب مذهباً  
يا تود ياورد الشباب الذي  
تطلع من ازارها الكوكبا  
يا بابي الشخص الذي لا ارى  
احلى على قلبي ولا اهدبا  
ان قلت يوماً ان عيني رأت  
منبهه لم اعد ان اكذباً

قالت ارى فودبه قد نورا  
دعابة توجب ان ادعيا  
قلت لها ما باله انه  
قد ينتج المهر كذا اشريا  
فاستضحكت عجبها بقولي لها  
وانما قلت لكي نعبيا  
ولما فهمها الترجمان شعر الفزال منعككت وامرته  
بالخضاب ففدا عليها وقد اختضب وقال  
بعكرت نحسن لي سواد خضابي  
فكانت ذك اعادني لشبابي  
ما الشيب عندي والخضاب لو اصف  
الا كشمس جلالت يضباب  
تخفى قليلا ثم يقشعها الصبا  
فيصير ما استعرت به لذهب  
لانك كرى وضع الشيب قائما  
هو زهرة الافهام والالياب

قلبي مانهوين من زهر الصبا  
وطلاوة الاخلاق والآداب  
ومن شعر الغزال الهين اللين الذي يرتفع له حجاب  
السمع ، ويوطأ له مهاد الطبع كما يقولون قوله  
قالت أحبك قلت ككاذبة  
غشوى هذا من ليس ينتقد  
هذا كلام لست اقبله  
الشيخ ليس يحبه أحد  
ميان قولك ذا وقولك  
م أن الريح نمقدها فتشقد  
اوان تقولى النار باردة  
اوان تقولى الماء يتقد  
وقوله  
لا ومن اصل المطايا اليه  
كل من يرتجى اليه نصيباً

ما أرى ههنا من الناس إلا  
 ثملباً يطلب الدجاج وذيباً  
 أو شبيهاً بالقط ألقى بمينه  
 ه إلى قارة يريد الوثوبا  
 وحدثنا أبو بكر بن القوطية قال: كان عباس بن ناصح  
 النقي قاضي الجزيرة الخضراء يفتدو على قرطبة ويأخذ عنه  
 ادباؤها فرت بهم يوماً فصيدته التي أولها  
 لممرك ما البلوى بعار ولا العدم  
 إذ المرء لم يعدم بقي الله والكرم  
 حتى مر بهم قوله  
 تجاف عن الدنيا فما لمعجز  
 ولا عاجز إلا الذي خط بالقلم  
 وكان الغزال إذ ذاك في الحلقة، وكان حدثاً نظاماً متأدياً  
 متوقفاً القريحة فقال: أيها الشيخ وما الذي يصنع مفعول مع  
 فاعل، فقال كيف تقول، فقال كنت أقول فليس لعاجز ولا  
 حازم، فقال له عباس والله يا بني لقد طلبها عمك فما وجدها.

انتمت هذه الرسالة »

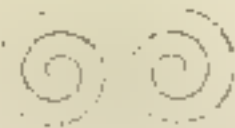
وفد كتبت في قرطبة بقصر سيدي الحكم ولي عهد

المسلمين . وابن مولانا عبد الرحمن الناصر أمير

المؤمنين ، وذلك في شهر اغشت الرومي سنة

ست وخمسين وتسعمائة . الموافقة سنة

خمس وأربعين وثمانمائة هجرية



محمدي  
عبد الله









U.S. GOVERNMENT PRINTING OFFICE: 1964

